الدراما السورية تخسر مشاهديها بسذاجة صانعيها وتجارتهم

■ غابت الكثير من المسلسلات السورية المنتجة حديثاً عن الفضائيات العربية العارضة في هذا الموسم، واستبعد ممثلوها من دخول السباق الدرامي العربي، وذلك بسبب ضعف التسويق ومشاكله التي تقع بها شركات الإنتاج السورية، في ظل المنافسة الشرسة على الساحة العربية بعد انتعاش الدراما في البلدان العربية كلبنان والخليج.

تفاصيل ص٢

الملتقى الدولي للاحتفال بالذكرى المئتين لميلاد ماركس

■ شارك في الملتقى (عدا المشاركين الصينيين) ١٢٤ مشاركاً، يمثلون ٧٠ حزباً شيوعياً وماركسياً وتقدمياً من ٥٠ دولة منهم ٢٠ مشاركاً من الدول العربية (٦ من فلسطين و٥ من مصر و٣ من تونس و٢ من المغرب و١ من كل من الأردن ولبنان وسورية وموريتانيا). أقيم اللقاء الأول في مدينة شنشنغ المقابلة لهونغ كونغ.

تفاصيل ص٤

«أردوغان» غارق في أحلام أجداده العثمانيين؟ ص٣

أفول المثقف العربي.. حسين مروة أنموذجاً ص٥

النور

أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
www.an-nour.com

الجيش يحبط محاولة تسلل للدواعش بريف حمص

■ أحبط الجيش العربي السوري محاولة تسلل لتنظيم داعش الإرهابي على نقاطه بمحيط حميمة بريف حمص الشرقي، بالترافق مع إحباط اللجان الشعبية هجوماً، شنه تنظيم (جبهة النصرة) الإرهابي والميليشيات المتحالفة معها على بلدتي الفوعة وكفريا المحاصرتين في ريف إدلب، وبينما خيم الهدوء التام على ريف حماة الشمالي، ألحق الجيش بالإرهابيين خسائر بالعتاد والأفراد، في رده على مصادر إطلاق القذائف الصاروخية التي استهدفت حي الحمدانية بمدينة حلب.

تهنئة واحتجاب

أسرة (النور) تهنئ قراءها الكرام بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد، وتحتجب بهذه المناسبة عن الصدور في عددها الإلكتروني بتاريخ ٢٠١٨/٦/٢٠، وتعود لقرائها في عددها الورقي كالمعتاد بتاريخ ٢٠١٨/٦/٢٧.
وكل عام وأنتم والوطن بألف خير!

السنة الثامنة عشرة ـ العدد ٨١٨ ـ الأربعاء ١٣ حزيران ٢٠١٨ | ٨ صفحات | ٢٥ ليرة سورية | ANNOUR - Wednesday 13 June 2018 - No. 818

وفاءً لتضحيات شعبنا وجيشنا ضد الإرهاب

كل الجهود لمواجهة التطرف الديني والطائفي

■ بعد ثماني سنوات مؤلمة، قاسية، عاشتها جماهير شعبنا منذ بداية الأزمة والحصار، ثم الغزو الإرهابي الظلامي الذي خططت له دول التحالف المعادي لسورية، بزعامة الإمبريالية الأمريكية وشركائها الأوربيين والخليجيين والأتراك، وبعد استبسال شعبنا وجيشنا الوطني في مواجهة هذا الغزو، ودحر الإرهابيين وإعادة الأمن إلى أغلبية المناطق السورية، فُتحت أمام بلادنا الآفاق للسير في العملية السياسية، وفق المبادئ التي أكدتها جميع المبادرات السلمية الدولية، وبضمنها قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤ الذي أكد وحدة سورية وسيادتها، ومشروعية مواجهتها للإرهابيين وفكرهم الظلامي.

الشعب السوري الذي انتظر طويلاً تطهير بلاده من الغزاة الإقصائيين، وما حاولوا تكريسه في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها من فكر إرهابي متمترس خلف فهمهم تعاليم الدين الإسلامي، يتوقع اليوم أن تتخذ الحكومة جميع الإجراءات الضرورية لمحاصرة بقايا هذا الفكر الظلامي، الذي رأينا ورأى العالم بأسره تجلياته في عمليات الذبح، والحرق، والتدمير، وأن تعمل بكل جدية ومثابرة، لا من خلال الإعلام والخطاب الثقافي والفكري فقط، بل من خلال تنمية المناطق المتخلفة في بلادنا، والتي تشكل حسب اعتقادنا بؤراً حاضنة لكلّ فكر متطرف.

هناك من يحاول اليوم مواجهة الإنجازات التي حققها جيشها الوطني، الذي حرر نحو ٨٥٪ من الأرض السورية من سيطرة الإرهابيين، بالتحريض على الاصطفاف الديني والطائفي والمناطقي، في الوقت الذي يتطلب التركيز فيه على وحدة مكونات الشعب السوري المختلفة، وذلك في محاولة لمنع السوريين من تحقيق طموحاتهم بصياغة غد سورية العلماني الديمقراطي، الذي يضم جميع مكونات شعبنا السياسية والاجتماعية والدينية والإثنية.

إن أي مظاهر لإبراز التطرف الديني، وأي محاولة لتشجيعه مهما اتخذت من أساليب، لا تخدم السير نحو ما يتطلع إليه السوريون اليوم.

فلنعمل على تشجيع المبادرات التي تجمع السوريين، دون النظر إلى انتمائهم الديني والطائفي، ودون تغذية مشاعر التميز والتفرّد، بل بالبحث عن ما يلم

● التتمة ص٧

هنيئاً للعسكريين.. متى تُمنح للعاملين المدنيين؟

■ أصدر السيد رئيس الجمهورية المرسوم التشريعي رقم ٨ لعام ٢٠١٨ الذي قضى بزيادة رواتب العسكريين بنسبة ٣٠٪، بعد إضافة التعويض المعيشي إلى الراتب المقطوع النافذ. والمرسوم رقم ٩ بزيادة رواتب المتقاعدين العسكريين بنسبة ٢٠٪.

نقول هنيئاً لأبنائنا وإخوتنا العسكريين، فهم يستحقون أكثر بكثير، بعد التضحيات التي بذلوها، وبذلونها، في مواجهة الإرهابيين، والحفاظ على وحدة سورية وسيادتها، وبعد الإنجازات التي تحققت بفضل تماسك جيشنا وشعبنا.

إن هذه الزيادة تساعد إخوتنا وأبناءنا على مواجهة جزء من التفاوت الشاسع بين الأجور ومتطلبات الحياة الكريمة، بعد الارتفاع الكبير في أسعار جميع السلع والخدمات، والذي لم تجد حكوماتنا المتعاقبة طريقة للجمه عبر أدواتها الاقتصادية والمالية والرقابية، رغم ظروفنا القاسية الناجمة عن الأزمة والغزو.

ونسأل اليوم، ونحن نستذكر تصريحات رئيس الحكومة، بأن الأولوية في الزيادة هي للعسكريين، نسأل: متى سيحصل العاملون المدنيون والمتقاعدون على مثل هذه الزيادة، كي تساعدهم أيضاً على سدّ بعض متطلبات مواجهة الغلاء الذي يطحنهم؟

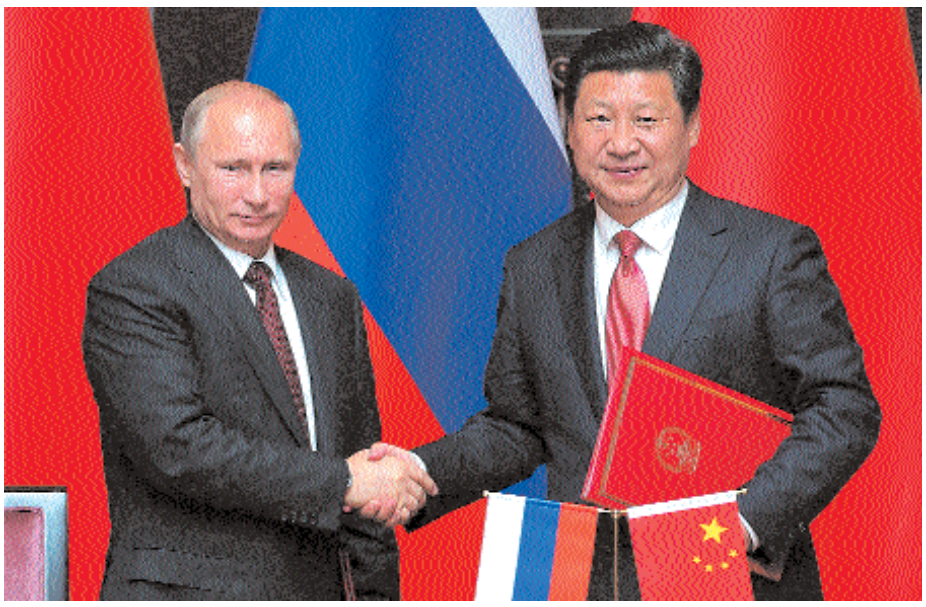

إعلان موسكو وبكين المشترك:

التنسيق المكثف لضمان إعادة إعمار سورية بصورة فعالة

■ وقّع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ونظيره الصيني شي جين بينغ، في ٢٠١٨/٦/٨، على إعلان مشترك حول العلاقات الثنائية بين البلدين، أعربا فيه عن مواقفهما المتطابقة إزاء عدد من القضايا الدولية.

واتفق الزعيمان في الإعلان المشترك على أن (روسيا والصين ستعززان، في ظروف الأوضاع الخارجية المعقدة والمتغيرة، الدعم المتبادل في إطار الشؤون الدولية، وستعمّقان التعاون الاستراتيجي بينهما).

وأكد البلدان أنهما (سيؤيدان بقاء المسؤولية الأساسية عن تعزيز السلم والأمن الدوليين في عهدة مجلس الأمن، وسيتصديان لمحاولات شن العمليات

● التتمة ص٧

بلاغ صادر عن اجتماع المكتب السياسي للشيوعي السوري الموحد:

يحق للسوريين أن يحتفلوا بالنصر على العصابات التي روّعت البلاد

■ عقد المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري الموحد اجتماعه الدوري الموسع بتاريخ ٢٠١٨/٦/٩، برئاسة الرفيق حنين نمر (الأمين العام للحزب)، وبحضور الرفاق: نبيه جلاحج (رئيس اللجنة المركزية) وأعضاء هيئة رئاسة اللجنة المركزية، وعبد الله صالح احمد (رئيس لجنة الرقابة والتفتيش) والرفيق مدير تحرير جريدة (النور).

وقد تقدم الرفيق الأمين العام بتقرير شامل عن المستجدات في الأوضاع الداخلية والعربية والدولية جاء فيه:

يزداد الوضع الدولي توتراً وسخونة بسبب تنامي النزعة العدوانية لدى الإمبريالية الأمريكية بشكل خاص، وعودتها إلى الأساليب الكولونيالية القديمة، وهي تسعى إلى ديمومة سيطرتها على العالم متجاهلة مصالح الشعوب والدول، وتواصل العبث بالقوانين الدولية وتنظيم المؤامرات والاعتداءات المسلحة هنا وهناك، والإخلال بالسلم العالمي.

وقد برزت الخلافات ضمن الدول الإمبريالية، والتنازع فيما بينها، للاستيلاء على الأسواق ونهب موارد الدول النامية، والحرب التجارية العالمية بين أمريكا وأوربا شاهد على ذلك.

وقد تأججت، كما هو معلوم،

● التتمة ص٧

قادة دول منظمة شنغهاي:

حل الأزمة في سورية عبر عملية سياسية يقودها السوريون

■ أكد قادة الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون أنه لا بديل عن عملية سياسية شاملة يقودها السوريون أنفسهم، من أجل التوصل إلى حل للأزمة في سورية.

وجاء في البيان الختامي لقمة المنظمة التي عقدت في تشينغداو بالصين، كما نقلت وكالة سبوتنيك، أن (الدول الأعضاء تؤكد أن حل الأزمة في سورية يجب أن ينطلق من ضرورة الحفاظ على سيادتها واستقلالها ووحدة أراضيها، وأن يتم وفقاً لأحكام قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٢٥٤ الذي يشدد على هذه المبادئ).

● التتمة ص٧

الرئيس الأسد في مقابلة مع صحيفة «ميل أون صنداي»:

الوجود البريطاني والأمريكي في سورية غزو

■ أكد السيد الرئيس بشار الأسد، في مقابلة مع صحيفة «ميل أون صنداي» أن الوجود البريطاني والأمريكي في سورية غزو، وأن بريطانيا قدمت دعماً علنياً كبيراً لمنظمة الخوذ البيضاء التي تشكل فرعاً لتنظيم القاعدة الإرهابي (جبهة النصرة) في مختلف المناطق السورية، ونحن نعتبر تلك المنظمة أداة تستخدمها بريطانيا في العلاقات العامة.

وفيما يلي مقاطع من إجابات السيد الرئيس في هذه المقابلة:

إن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة تتبع وتتبنى السياسة نفسها، لكن ولنكن صريحين أكثر فإن بريطانيا وفرنسا تابعتان سياسياً للولايات المتحدة، هذا ما نعتقده، وقد قدمت بريطانيا دعماً علنياً لمنظمة (الخوذ البيضاء) التي تشكل فرعاً للقاعدة–النصرة في مختلف المناطق السورية، لقد أنفقوا عليهم الكثير من المال، ونحن نعتبر (الخوذ البيضاء) أداة تستخدمها بريطانيا في العلاقات العامة، وبالتالي من المؤكد أن هذه الدول الثلاث فبركت ذلك الهجوم، وبريطانيا ضالعة في ذلك.

بريطانيا والولايات المتحدة هاجمتا العراق بشكل غير مشروع عام ٢٠٠٣ وقتلتا الملايين وتسببتا

● التتمة ص٧

السيد نصر الله: سورية انتصرت على الحرب الإرهابية الكونية..

■ أكد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أن سورية الدولة المركزية في محور المقاومة تعرضت لحرب إرهابية كونية على مدى السنوات السبع الماضية، لكنها انتصرت عليها وأصبحت المساحة الأكبر منها اليوم آمنة.

وفي كلمة له، يوم الجمعة الماضي، بمناسبة يوم القدس العالمي، خاطب السيد نصر الله كيان الاحتلال الإسرائيلي قائلاً: (اعترفوا أيها الصهاينة أنكم فشلتم في إسقاط عمود المقاومة في المنطقة، وأن أحلامكم ورهانكم على الجماعات الإرهابية ذهبت أدراج الرياح) داعياً مشيخات الخليج المتورطة في الحرب الإرهابية على سورية إلى الاعتراف أيضاً بهزيمتها.

وأوضح السيد نصرالله أن حزب الله ذهب إلى سورية لأنها كانت تتعرض لمؤامرة كونية كبرى تستهدف وجودها كدولة، وتستهدف أيضا محور المقاومة الذي ساهم في انتصار سورية الكبير، مشيراً إلى أن (الحزب سيخرج من سورية عندما تطلب منه القيادة السورية ذلك).

وشدد السيد نصر الله على أن قضية القدس المحتلة هي حقيقة الصراع مع العدو الصهيوني، وجوهره، مبيناً أنه بعد الاعتراف الأمريكي

● التتمة ص٧

في يوم القدس العالمي بدمشق: القدس عاصمة تاريخية لفلسطين

■ أكد المشاركون في مسيرة إحياء يوم القدس العالمي، التي انطلقت يوم الجمعة ٢٠١٨/٦/٨ من مدخل سوق الحميدية بدمشق وصولاً إلى الجامع الأموي، بمشاركة شعبية واسعة، أن القدس عاصمة تاريخية لفلسطين، وأنها ستبقى رغم كل المحاولات التي يمارسها كيان الاحتلال الإسرائيلي وداعموه.

ولفت المشاركون في بيان خلال المسيرة التي نظمت تحت عنوان (سنصلّي في القدس معا) إلى أن القدس أرض عربية محتلة لا يجوز الاستيلاء عليها، وهذا ما تؤكده كل القوانين والشرائع الدولية، مندّدين بقرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب نقل السفارة الأمريكية إلى القدس واعتبارها عاصمة كيان الاحتلال الإسرائيلي الذي عجز عن تغيير هوية المدينة وانتماء أبنائها.

وعبر المشاركون في بيانهم عن تقديرهم لمواقف سورية وقيادتها الداعمة للقضية الفلسطينية، إلى جانب الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمقاومة اللبنانية والفلسطينية وجمهورية روسيا الاتحادية، مطالبين بوقفة شعبية إسلامية ضد الأنظمة العميلة لدفعها إلى اتخاذ قرارات تنسجم مع تطلعات شعوبها.

ووجه المشاركون التحية للجيش العربي السوري والقوى الرديفة له الذين يحققون الانتصارات في مواجهة الإرهاب ما يعيد الأمل بتحرير كامل التراب المغتصب من قوى الشر والعدوان والانتصار لقضايا الشعوب المدافعة عن الحرية.

وفي كلمة الدكتور مصطفى ميرو (رئيس اللجنة الشعبية العليا لدعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني) اعتبر أن انطلاق المسيرات المليونية في يوم القدس العالمي أعاد الاعتبار للقضية الفلسطينية، وشكّل رسالة رفض قوية لكل الإجراءات التي تمس هوية مدينة القدس.

ومن القدس خاطب المطران عطا الله حنا (رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس) المشاركين بقوله إن (هذا اليوم يؤكد التمسك بالقدس رغم كل المؤامرات والتحديات والاجندات المشبوهة الرامية إلى ابتلاع المدينة وتصفية القضية) موجهاً التحية إلى رجال الانتفاضة الفلسطينية الذين أثبتوا للعالم بأسره أن الشعب الفلسطيني سيستمر في نضاله حتى تحرير أرضه.

ويجري إحياء يوم القدس العالمي في يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان المبارك في جميع أنحاء العالم تضامناً مع الشعب الفلسطيني ورفضاً لمحاولات تهويد المدينة المقدسة التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وذلك بناء على المبادرة التي أطلقها قائد الثورة الإسلامية الإيرانية الإمام الراحل الخميني في عام ١٩٧٩.

الدراما السورية تخسر مشاهديها بسذاجة صانعيها وتجارتهم

■ شهدت القنوات الفضائية العربية في رمضان، مثل كل عام، زحمة عرض للمسلسلات المنتجة حديثاً، وتتسابق هذه القنوات فيما بينها بعرض أفضل الأعمال الدرامية، واحتكار أعمال منها تحت مسمى (عرض حصري)، إضافة إلى اتخاذ خطوات تسويقية لكسب أعلى نسب مشاهدة.

غابت الكثير من المسلسلات السورية المنتجة حديثاً عن الفضائيات العربية العارضة في هذا الموسم، واستبعد ممثلوها من دخول السباق الدرامي العربي، وذلك بسبب ضعف التسويق ومشاكله التي تقع بها شركات الإنتاج السورية، في ظل المنافسة الشرسة على الساحة العربية بعد انتعاش الدراما في البلدان العربية كلبنان والخليج.

أما بالنسبة للأعمال التي هي قيد العرض الآن، فقد ذهبت وفق مضامينها باتجاهين في الغالب:

الاتجاه الأول سياسي، يتناول الحرب التي يعيشها السوريون، وفق وجهة نظر واحدة بالأغلب وسوف نطرح أمثلة منها في مقالنا، وهذا النوع من الدراما أطلق عليه (دراما الأزمة).

أما الاتجاه الثاني فهو تسويقي يعتمد على (الجرأة في المعالجة، وكسر الأنماط والقيم الاجتماعية، والانحطاط الأخلاقي)، كوسيلة لشد الانتباه ولفت النظر.

أما بقية الأعمال المنتجة سورياً فتتروح مشاكلها بين ضعف النص وضعف الإخراج ومشاكل التصوير، إضافة إلى غياب ممثلي الصف الأول، وظاهرة الوجوه الجديدة وفق الشللية والمصلحة الخاصة التي لا تجيد الأداء والتمثيل.

(ترجمان الأشواق)... جدل ومنع!

تعرض مسلسل (ترجمان الأشواق) للمنع من العرض بقرار من الرقابة التلفزيونية، وجاء قرار تجميد المسلسل بعد أن عرضت بعض القنوات ترويجاً له، وجمع الترجمان نخبة من الممثلين السوريين منهم عباس النوري، غسان مسعود، فايز قزق، سلمى المصري ..وغيرهم. وقد أثار هذا القرار سخط المشاهدين واستنكارهم له، وكانت حجج الرقابة كالمعتاد أن النص الذي قدم إلى الرقابة كان مختلفاً عن النص الذي جرى تمثيله، كما جاء تبرير دائرة الرقابة لسبب المنع أنه مبني على اعتبارات سياسية، لظهور شخصية (المسؤول الفاسد)، الأمر الذي عارضته الرقابة، وقد وصلوا بعد مشاورات إلى حذف مشاهد للممثل غسان مسعود، ومن العبارات التي يقولها مسعود في دوره بالنص: (إذا بدكم تعمروها عن جد، لا تعلّوا الطوابق كتير، بتعرف ليش؟ حتى لما ترجع تدمر ما تعذبونا بالترحيل والإنقاض). وجملة أخرى: (عادةً تجار الحروب هنّ تجار إعادة الإعمار). لعل هذه الكلمات، التي تصف الواقع ومرارته بكل صدق وشفافية، كانت كفيلة بمنع المسلسل في بلد أغلق على قوانينه، فازدهرت تجارة الفاسدين والزعران.

لم تكن مشكلة منع الترجمان في النص ولا المشاهد، بل المشكلة ليست سوى تارات شخصية بين مناصب المؤسسة نفسها، ومحاربة الرقابة لمنفذي المسلسل الذي يعتبر من أقوى انتاجات المؤسسة منذ افتتاحها حتى اليوم.

ولم تقف مشكلة التارات الشخصية عند (ترجمان الأشواق) فكان لـ(هارون الرشيد) أيضاً نصيب بذلك، وفق ما صرح كاتب النص عثمان جحى، إذ اتهم أحد أعضاء دائرة الرقابة بأنه هو وراء منع عرض المسلسل، بسبب عدم اعتماده كاتباً للمسلسل، إذ عرض أن يسهم في الكتابة وأن يذكر اسمه في الشارة كمؤلف، كما بدأ بالتدخل في سياسات الشركة، على حد قول جحي، الأمر الذي رفضته شركة الإنتاج، ما دعاه إلى ابتزازها ومنع عرض المسلسل.

مسلسلات سورية خرجت عن العرض

خرجت من العرض كثير من المسلسلات التي كان المشاهد بانتظارها في هذا الموسم الرمضاني، ولكن ضعف التسويق، إضافة إلى عدم توفر شروط العرض المناسبة لبعضها كانا السبب في استبعادها لتبقى بانتظار العرض في القادم. ونذكر من هذه المسلسلات دراما (سايكو) الذي فشل تسويقه للعام الثاني، وقد أعلنت الشركتان المنتجتان له، (زوى) و(الأمل)، عن عدم توفر شرط العرض المناسب، وأكدتا أنه سيحظى به بعد موسم رمضان، إثر تلقيه (عرضاً حصرياً لائقاً بمستوى المسلسل الفني، وخاصة بعد الجهود الكبيرة المبذولة له)، وفقاً لتصريحات الشركتين.

مسلسل (هوا أصفر)، عمل انتظره الجمهور كونه يحقق تجربة جديدة لأسماء مهمة قدمت أعمالاً متميزة، إلا أن الشركة المنتجة له (كات) عزت سبب منع عرضه في رمضان إلى معطيات السوق الحالية، وعدم توفر شرط العرض المناسب بما يليق بالجهود الكبيرة المبذولة في العمل.

وأشارت الشركة إلى أنه سيظهر على الشاشات بعد انتهاء رمضان، ويشارك فيه مجموعة من النجوم في مقدمتهم سلاف فواخرجي وفادي إبراهيم ووائل شرف وغيرهم.

أما شركة (قبنض) للإنتاج الفني فأعلنت تأجيل عرض مسلسل (الفرصة الأخيرة) من تأليف أسامة كوكش، وإخراج فهد ميري، ليأخذ حقه في العرض على حد قول الشركة.

إضافة إلى مسلسلات أخرى مازالت بانتظار القنوات العارضة دراما لم تواكب التطور الذي واكبته الدراما المنافسة.

تعاني الدراما السورية من عدة أسباب أدت إلى خسارتها سوقها ورواجها من أهم الأسباب نذكر:

– ضعف تسويق المسلسلات السورية، وخاصة في المحطات العربية والخليجية ، ذلك أن دراما تلك البلدان تطورت في الآونة الأخيرة كماً ونوعاً، واستقطبت الدراما الخليجية كوادر فنية سورية من مصورين ومخرجين، أسهمت في تطورها، ما زاد من إنتاجها.

– من جهة أخرى تزامن ظهور الدراما الخليجية بشكل مكثف مع صحوة الدراما المصرية، التي عانت في فترة من التراجع في المستوى، الأمر الذي جعل كبار فنانيها يدقون ناقوس الخطر، ويطلبون من صناع الدراما الاقتداء بالممثلين والمخرجين السوريين، في اعتراف صريح منهم بتفوق الفنان السوري، وهذا الأمر دعا مخرجين مصريين كبار إلى الاستعانة بممثلين سوريين للعب أدوار البطولة مثل جمال سليمان وباسل خياط وسوزان نجم الدين.

– كما تنبه صناع الدراما المصرية إلى أحد أسرار نجاح الدراما السورية، وهي البطولة الجماعية، إذ كانت المسلسلات المصرية تأخذ طابع البطولة المطلقة لأحد النجوم، وهذا الذي أسهم في نمطيتها وتدهورها في وقت من الأوقات، فتجاوزت تلك السلبية وحاولت قدر الإمكان إظهار شخصيات فاعلة في أحداث المسلسل، أو مشاركة في البطولة.

– بعض شركات الإنتاج في سورية دخلت سوق الدراما مؤخراً طلبت من الكاتب والمخرج أعمالاً ذات بطولة مطلقة.

وقد أصبح الممثل السوري اليوم يلعب أدوار البطولة في مسلسلات عربية مصرية ولبنانية ليضمن وجوده في خارطة العرض الدرامي للقنوات الفضائية، إضافة إلى توفر مستوى فني وتقني عالي في هذه الأعمال أصبح المسلسل السوري يفتقر إليها، ويجسد هذا التوجه خلال الموسم الدرامي الحالي الممثل باسل خياط في مسلسل الرحلة ، وعابد فهد في مسلسل طريق .

دراما هذا العام

يتبعثر الكلام خجلاً من وصف الضعف والتشتت الذي أصاب دراما هذا العام، وأفقدها كل ملامحها الجميلة، فلم يكن هذا الموسم محظوظاً ولو حتى بمسلسل واحد يقال عنه بأنه يرتقي لمستوى عمل ناجح ومتألق كالأعوام السابقة، فمنذ الحلقات الأولى ملّ المشاهد وابتعد عن متابعة الأعمال السورية واتجه لمشاهدة أعمال مصرية ولبنانية سورية مختلطة، فحتى دراما هذا العام لم تحظَ بعرض القنوات العربية، فكانت قناواتنا السورية وخصوصاً (سورية دراما) الملجأ الوحيد والحضن الدافئ لعرض إنتاج هذا العام، وسنقدم بهذا المقال وصفاً سريع لبعض ما قدم هذا العام.

(الروزانا) مقلمة الأظافر مرصعة بفسيفساء المؤامرة

لم يقدم مسلسل (روزانا) ما هو جديد عما قدم في السنوات الماضية من مسلسلات الأزمة التي تناولت اتجاهاً واحداً تفرد بسرد نظرية المؤامرة والإرهاب التي خربت ودمرت مدينة حلب دون التطرق لمكامن الفساد التي كانت الشريك الأكبر لما حصل وفق رؤية ضيقة لمخرج العمل، فقد تناول العمل قصة عائلة حلبية نزحت من حلب إلى دمشق هرباً من الحرب، ما ميّز الروزانا هو أداء الممثلين مثل بسام كوسا وجيانا عيد وعامر علي وأخرون، فأعطوا للنص بعض الملامح التي افتقدها الإخراج الضعيف للنص، ولم يلق الروزانا سوقاً لترويجه سوى (سورية دراما)، والسبب أن نوعية هذه النصوص محصورة لأنها تحمل اتجاهاً واحداً وهو حرب السبع سنوات بمنظور ورؤية ضيقة كما حصل في مسلسلات سابقة لم تلق سوى الفشل الذريع والخسارة.

(وهم) يفقد عناصره الدرامية

افتقد مسلسل (وهم) لعناصر النص الدرامي، من حيث القصة البوليسية المقدمة والتي أخذت شططاً واسعاً يمتد لثلاثين حلقة، والذي يمكن تلخيصها بعدة حلقات، فقد أفلت النص في سرده للحكاية الحبكة الأساسية بكتابة النص الدرامي، وكأننا أمام كاتب لا يفقه فن السيناريو وأكمل مخرجه على الباقي برداءة الإخراج واعتماده على كادر تمثيلي ضعيف جداً، فيرى المشاهد نفسه أمام مبتدئين لا يفقهون فن التمثيل والأداء. ولا ننكر جهد بعض الفنانين الذين حاولوا إنقاذ المسلسل مثل محمد الأحمد وزهير رمضان وصفاء سلطان وزينات قدسية والفرزدق ديوب وغيرهم من الفنانين الجيدين، ولكن ضعف النص والإخراج ذهب بالمسلسل إلى الهاوية لينطبق الاسم على المسمى (الوهم).

وردة شامية

لا يمكن للكلام أن يصف البشاعة والسوء الذي قدمه هذا العمل من انحطاط فكري وأخلاقي، فلا يمكننا القول سوى بأنه تشويه للبيئة الشامية وعاداتها، فهو لم يصدر لمشاهديه سوى ثقافة العنف والجريمة المقززة، علماً بأن النص مقتبس عن قصة (ريا وسكينة) المصرية، ولكن ما رأيناه في هذا النص من ترويج للقتل والعنف لم نره في مسرحية ريا وسكينة التي تعتبر من المسرحيات التي لها بصمة خاصة في المسرح العربي. ولا ننكر الأداء المتميز للفنانتين شكران مرتجى وسلافة معمار، وما هذا النص سوى استخفاف بعقول المشاهدين في القرن الحادي والعشرين.

سليمان أمين

عيد سعيد!

■ تماشياً مع المثل القائل (المالو زمّيرة.. ما لو عيد)، أراد أحد الفلاحين لابنه أن يعيّد مثل باقي أولاد الضيعة، فقرر قبل العيد أن يشتري له (زميرة)، فأوصى سائق الباص بأن يحضر لابنه زمّيرة من العاصمة، فما كان من سائق الباص إلا اختلاق الأعذار والحجج الواهية كل يوم، لعدم شرائه الزميرة للصبي. وفي أحد الصباحات جاء الرجل إلى سائق الباص وناوله ثمن الزميرة قبل أن يسلم عليه، فأجابه السائق مباشرة: (اليوم بيزمر بنيّك)!

أسوق تلك الحادثة ونحن على أبواب عيد الفطر السعيد الذي قد يصادف غداً أو بعد غد، وهو دون شك مناسبة فرح تحمل السرور والبهجة، خاصة للأطفال الذين يترقبونها لتحقيق آمالهم المؤجلة والوعود التي يتلقونها من أهاليهم على مدار العام، والتي هي في معظمها وعود خلبية تخديرية لتمرير الوقت.

لقد أصبح العيد عيدين، فالكثيرون من الأهالي بات العيد بالنسبة إليهم مناسبة ثقيلة تذكرهم ببؤسهم وشقائهم، وتؤكد لهم عجزهم عن الوفاء بوعودهم والتزاماتهم، وذلك في ظل الأوضاع المعيشية البائسة، التي تزداد بؤساً من عام إلى آخر، وقد ازدادت أعداد الفقراء والمهجرين كثيراً خاصة خلال السنوات الثماني العجاف في ظل الحرب والحرمان والحصار، وكثيرون باتوا بلا مأوى مشردون في أصقاع الأرض، وبالتأكيد سيكون للعيد عند هؤلاء طعم آخر.. وقد لا يكون له لا طعم ولا لون ولا رائحة.. وسيكون مناسبة عادية، أي يوم مثل باقي أيام السنة لا يحمل أي تغيير!

وفي ظل ارتفاع الأسعار وفلتان الأسواق وتدني الدخول وتآكل القوة الشرائية، فإن هؤلاء سيبقون بالتأكيد على هامش العيد، إذ لا يمكنهم أن يشتروا لأبنائهم الثياب الجديدة، وحلوى العيد وكعكه، وكذلك لا يستطيعون الذهاب معهم إلى المطاعم والألعاب لكي يفرحوا ويمرحوا، وقد لا يرون الضحكة على شفاههم.

قد يقول قائل: انظروا إلى الأسواق ملأى بالناس والازدحام على أشده حتى الساعات المتأخرة من الليل، والكل يتسوق ويتبضع قبل العيد، وهذا دليل على أن أحوال الناس وأمورها بخير.. نقول: صحيح أن الأسواق مكتظة بالناس، ولكن هل كل هؤلاء قادرون على الشراء؟ بالتأكيد لا، لأن الغالبية العظمى منهم يقفون أمام واجهات المحلات ينظرون إلى الأسعار ويمضون إلى سبيلهم!

لقد أصبح العيد لقلة قليلة من الناس، للأغنياء وأصحاب الرساميل فقط، لأنهم هم القادرون على الشراء والتسوق والذهاب في أيام العيد وغيرها من الأيام إلى أفخم المطاعم وإلى أجمل الأماكن، وارتياد أجمل حدائق الألعاب، وبذلك تكون عندهم كل الأيام أعياداً.

بقي أن نقول: لابد من الالتفات إلى هؤلاء المواطنين الفقراء الذين باتوا يشكلون الشريحة الأوسع في المجتمع، بإعادة المهجرين إلى بيوتهم، وتحسين أوضاعهم المعاشية بزيادة أجورهم، وإيجاد فرص العمل للعاطلين منهم، وتنفيذ كل الوعود والخطط والمشاريع التنموية المؤجلة، لكي يتخطوا فقرهم وعجزهم ويشعروا بالأمان والاستقرار، وبذلك سيكون لهم ولأبنائهم عيد سعيد!

محمود هلال

mah.hlal@gmail.com

البيئة.. والوعود الخلبيّة!

■ شهد الأسبوع الماضي مشاركتنا للعالم المحتفي بيوم البيئة العالمي، ولكن لم يكن هذا الاحتفال متناسبا بين الإنجازات والوعود، فالوعود الكثيرة جداً، فيما يخص البيئة، قابلها إنجازات ضئيلة جداً نحتاج الى مكبرات ومناظير كي نراها، في حين كانت خطاباتنا الطنانة والرنانة تتغنى بضرورة الحفاظ على بيئة نظيفة وخالية من التلوث ومن النفايات الصلبة والسائلة والملوثات البلاستيكية والصناعية، وغير بعيد عن المثل القائل: أسمع خطاباتك أصدق، أشوف إنجازاتك أستغرب! إذ إننا لم نشهد أي خطوات عملية تذكر على مدى سنوات وسنوات مضت لمنع تلوث بيئتنا بكل مكوناتها، وبضمنها التلوث الفكري! الاحتفالات كبيرة والحشد لهذه المناسبة بلغ ذروته، ولسان حال المحتفلين يقول: (كلّموني تاني عنك.. فكّروني)! فيما لسان حال المواطن يقول: (سنة عن سنة عم تزداد المزابل والريحة بهالدني)! فالواقع المؤلم جداً لبيئتنا الملوثة من ألفها إلى يائها بات لا يطاق، إما بسبب دخان المصانع والمعامل ووسائل النقل، وإما بسبب الصرف الصحي الذي إن أُنجزت شبكاته فإنها تنتهي إلى البحر أو الأنهار او السدود او الأراضي الزراعية أو الحراجية، بعيداً عن أي محطات معالجة كان يجب أن تنجز بالتوازي مع إنجاز هذه الشبكات، كما هو الحال في سد الدريكيش وغيره من السدود، وإما لأسباب أخرى.

في يوم البيئة العالمي الذي شاخ وهرم مازالت عدة حالات شاهدة على العجز والتقصير في أكثر من مكان في محافظة طرطوس دون أن نجد إجراءات جادة من الجهات المعنية تصب في خانة معالجتها لنكون شهوداً بالمقابل عليها! فها هو ذا شاطئ مدينة طرطوس متخم بمياه مجارير المدينة التي يقدر عددها بالعشرات تصبّ في مياه البحر مباشرة لتلوثه وتبعث الروائح الكريهة منه، بعد أن فشلت جميع الجهات المحلية والمركزية في إنجاز محطات الضخ ومحطة المعالجة الرئيسية رغم مضي ثلاثين عاماً على المباشرة بها!. فمن ننتظر لينجز المهمة ويكون صاحب الحق الحقيقي في الاحتفال بيوم البيئة؟! وغير بعيد عن الشاطئ، وأنت تعبر طرطوس إلى جارتها اللاذقية، تذهلك مشاهد الغبار الكثيف الذي تنفثه بكميات كبيرة جداً في الهواء والبيئة المحيطة مداخن مصنع الأسمنت في طرطوس، مسببة تلوث الهواء والصحة العامة والشجر والحجر رغم تركيب فلاتر كهربائية لها منذ ٢٠٠٤، وقد صُرف عليها عشرات الملايين إن لم نقل أكثر، فضلاً عن الدخان الكثيف جداً الصادر في الهواء من مداخن محطة توليد بانياس الكهربائية مسبباً التلوث لبانياس والمناطق المحيطة بها، إضافة إلى مداخن مصفاة النفط في بانياس! ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فمكبات القمامة المنتشرة في أكثر من منطقة، سواء في الدريكيش أو الشيخ بدر أو صافيتا، تحتاج إلى صوت جريء وقرار صادق للإسراع في إنجاز محطات المعالجة الفورية للقمامة، ولمشاريع الصرف الصحي التي تنتظر انتهاء مواسم الكمّون التي تحفل بها وعود المسؤولين في بلدنا!

أخيراً، نعم بيئتنا ملوثة وملوثة، ومن يقول غير ذلك فهو أعمى أو مصاب بالتلوث، وهي في خطر كبير، ومن غير المقبول أن نحتفل بيوم البيئة وروائح التلوث تملأ قصباتنا الهوائية.. فهل اعتاد المعنيون على هذه الروائح وباتت بديلاً عن زجاجات العطور لديهم.. أم أن لديهم ما يُلهيهم عن واجباتهم الوظيفية ياترى!؟

رمضان إبراهيم

تهنئة

أسرة (النور) تهنئ جميع الناجحين والناجحات في شهادة التعليم الأساسي لهذا العام، رغم الظروف الصعبة التي مرت عليهم في هذا العام والأعوام السابقة. وتهنئ، أيضاً، الكادر التدريسي والإداري في مدارسنا. ويسرّها أن تهنئ كلاً من الطلاب وأهاليهم:

١– محمد خالد هلال (الناصرية).

٢– يمام علاء الحكيم (جرمانا).

٣– حمزة زهير جبر (جرمانا).

المسؤولية الاجتماعية بوابة المستقبل

■ منذ دخولي إلى الجامعة وأنا أحلم بأن أحصل على فرصة عمل جيدة أستفيد منها مادياً، والأهم من ذلك أن أحصل على خبرات حياتية جديدة تصقل مهاراتي، لكي أثبت نفسي في سوق العمل وأحقق أحلامي وطموحاتي. ولكن مازالت عقبة الخبرة العملية في العمل، والسيرة الذاتية التي لم تصبح (ضخمة) بعد، تقفان في طريقي كجدار عالٍ يصعب تخطّيه، يحيط به خندق من العوائقَ اللامتناهية، ولا أمل لي، على ما يبدو، بتخطّيها سوى بالحصول على عمل بسيط أبدأ به مسيرتي المهنية والسعي خلف دورات وورشات مجانية أصقل بها مهاراتي البسيطة لتصبح جيدة بما يكفي لتفتح لي الطريق نحو مستقبل أفضل.

ولكن ما العمل إن كانت الشركات لا تقبل موظفين بلا خبرات ودورات ترفع قيمة السيرة الذاتية، أو تزيد (ضخامتها)؟ وما السبيل لدخول سوق العمل وأنا في زمن لا يقبل بالموهبة والرغبة بالتطوير، بل يؤمن فقط بسلسلة من الخبرات الوظيفية الكثيرة التي يصعب الحصول عليها؟

يبقى الحصول على عمل هو مشكلة الشباب الأولى، وهي تتمثل بدخول سوق العمل بعد التخرج، وتتراكم بعدئذ الخبرات العملية والعلمية اللازمة لتطوير مهاراته الشخصية والوظيفية. وهذه المهمة لا تقتصر على جهة معينة، بل هي مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق جميع مكونات المجتمع المحلي. فالمسؤولية الاجتماعية تعد ركيزة من ركائز بناء المجتمع، لما تظهره من حالة حضارية ومتقدمة من الاهتمام بالآخر، وعلى وجه التحديد فئة الشباب الذين نعول عليهم في بناء سورية من جديد.

ومهمة المسؤولية الاجتماعية في بلادنا يجب أن تركز على Âبناء الإنسان، بالتزامن مع إعادة الإعمار، وهي تعتبر مهمة كل أفراد المجتمع، فلا يوجد سبيل للنهوض بالمجتمع إلا بتكاتف أفراده ومكوناته، لهذا ظهرت معالم المسؤولية الاجتماعية في بداية الأمر في مجموعة من المؤسسات هدفت إلى توعية الشباب في جملة من الورشات المجانية التي تركز على نقاط تفيد الطلاب في حياتهم الشخصية والعملية، والتي تستهدف شريحة كبيرة من الطلاب الجامعيين، كعيادات العمل في جامعة دمشق التي كان لها أثر كبير على مسيرة شريحة واسعة من الطلاب في مختلف المجالات، وغيرها الكثير من الفرق التنموية التي وضعت توعية الشباب السوري وتطويره هدفاً لها.

كل هذه المبادرات دفعت ببعض المؤسسات إلى اتباع خطوات المبادرين الأوائل، والإحساس بأهمية دورهم في حياة الشباب، فسارعوا إلى تقديم منح جامعية مهدت الطريق لبعض الطلاب، إضافة إلى تقديم فرص تدريب في مراكز مخصصة للتنمية البشرية التي تصقل مهارات الشباب وتوجههم نحو الطريق الصحيح الذي يضمن دخولهم بقوة إلى سوق العمل.

في حين عبّرت بعض الشركات عن مسؤوليتها الاجتماعية بتدريب الشباب بشكل عملي في مقراتها، بدورات تدريبية تصل مدتها حتى ٣ أشهر، تضمن أن يحصل المتدرب فيها على تجربة عمل حقيقية تضيف إلى خبراته العملية بشكل فعلي، وتوظف قدراته بطريقة جيدة.

ولكن، رغم أهمية المسؤولية الاجتماعية، إلا أننا مازلنا بحاجة إلى توعية الشركات الخاصة والجمعيات وهيئات المجتمع المدني إلى الأهمية الكبيرة لها في حياة الشباب السوري، وللأسف لم تخطُ الشركات والجامعات الخاصة بعد خطوات كبيرة في اتجاه ترسيخ مبدا المسؤولية الاجتماعية الذي لن يفيد الشباب فقط، بل سينعكس إيجاباً على الشركات نفسها والجامعات الخاصة، إذ سيرفع ويحسن من سمعة القطاعات الخاصة المساهمة في المسؤولية الاجتماعية، فضلاً عن أن هذه المبادرات ستتيح للشركات الخاصة الاستفادة من استقطاب الموارد البشرية الفعالة والجيدة التي ستضيف أفكارها المبدعة والمتجددة إلى المكان الذي تعمل فيه.

ولكن، حتى تكون هذه المبادرات في الطريق الصحيح، فإن على الحكومة أن تكون هي المحرك والمشرف الأول على خطوات التنمية هذه، وأن تكون المساهم الرئيس في وضع خطط تنموية شاملة، إضافة إلى التوعية بأهمية المسؤولية الاجتماعية ونشرها، لربط التنمية الاجتماعية مع تنمية القطاعين العام والخاص، وصناعة حالة متحضرة من التفاعل المثمر بين المجتمع والشركات والجامعات الخاصة والفرق التنموية، مما يوصلنا إلى الحصول على عوائد اجتماعية تحقق التنمية التي ننشد الوصول إليها في مجتمعاتنا.

ولاء العنيد

النور
أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
أسست عام ١٩٥٥
أعيد إصدارها عام ٢٠٠١

المدير المسؤول: المحامي فؤاد البني
مدير التحرير: بشار المنيّر
المدير الفني: نصر الشيخ علي
مسؤولة العلاقات العامة: ريمان حداد

الجمهورية العربية السورية . دمشق
المزرعة . شارع عمر المختار
● هاتف ٣٣٢٤٩١٤ – ٣٣٤٢٥٧٢ – ٣٣٤٢٥٧٣
● فاكس ٣٣٤٢٥٧١ – ٤٤٢٢٣٨٣ ص.ب ٧٣٩٤
e-mail:annourscs@gmail.com
www.an-nour.com
■ للإعلان: الاتصال بالأرقام ٣٣٢٤٩١٤ – ٣٣٤٢٥٧٢ – ٣٣٤٢٥٧٣
■ الاشتراك السنوي: للأفراد ٢٠٠٠ ل.س للمؤسسات ٤٠٠٠ ل.س
■ للسفارات ٥٠٠٠ ل.س.
● في لبنان ٥٠ دولاراً أو ما يعادلها – باقي الدول العربية ١٠٠ دولار
● أوربا ٢٠٠ دولار – الأمريكيتين وباقي الدول ٣٠٠ دولار.
● تُقبل الاشتراكات التشجيعية من الأفراد والمؤسسات.

اللقاء اليساري الثالث «من أجل وحدة اليسار»

انطلقت في مدينة غوتنبورغ السويدية أعمال اللقاء اليساري الثالث، الذي استمر يومي ٢٦ و ٢٧ أيار (مايو). يشارك في اللقاء ممثلو أحزاب شيوعية ويسارية، نشطاء يساريون وباحثون.

ناقش المجتمعون المداخلات التي وصلته، وأصدر بياناً صحفياً في ختام أعماله، سيُنشر لاحقاً.

الجدير ذكره أن الحزب الشيوعي السويدي قدّم مشكوراً مكان انعقاد اللقاء في مقره المركزي ، وقدم كلمة ترحيبية للمشاركين.

كما قدم عرضاً بنشاطات الحزب والأساليب التي يستخدمها للتواصل مع الناس، إضافة إلى علاقاته الخارجية. ثم تجول الحاضرون في مختلف أقسام المبنى الضخم للحزب حيث توجد قاعات لاجتماعات، وهيئة تحرير صحيفة البروليتاري.

من المعلوم أن اللقاء الأول عقد في الدانمارك، والثاني في براتيسلافا.

وستنشر (النور) مساهمات الحزب الشيوعي السوري الموحد، والباحثَين يونس صالح وبشار المنيّر، في هذا اللقاء تباعاً.

دور اليسار في الظروف المعاصرة

علم الدين أبو عاصي

■ مصطلح اليسار يعبر عن التيارات السياسية والفكرية التي تعمل لتغيير أوضاع المجتمع إلى حالة أكثر مساواة وعدالة بين أفراده، ويرجع منشؤه الى أيام الثورة الفرنسية، فقد كان النواب من أنصار إجراءات الثورة يجلسون في قاعة الاجتماعات على يسار الملك، مقابل جلوس رجال الدين والأرستقراطيين على يمينه. وتغير مدلوله بمرور الزمن وفق المراحل واختلاف الأمكنة، وتباين هوية التيارات المسماة به. لا يوجد تعريف واحد دقيق وشامل لليسار في العالم. وبشكل عام غدا الاصطلاح مرتبطاً بالقوى التي تدعو إلى تغييرات سياسية واجتماعية جذرية في الواقع، وتعمل لإنجازها، بهدف تحقيق المساواة وحصول الفئات الشعبية الفقيرة على حقوقها المسلوبة، وتنمية وعيها لمصالحها، وتحقيق التنمية المرتكزة على العدالة الاجتماعية والخيار الاشتراكي.

وتبرز ظروف كل مرحلة محددات لقوى اليسار وأولويات مهامها. فلما تهدد الأخطار الوطن تستنهض إرادة الشعب وقواه الحية للمواجهة، وحماية الوطن وتنميته وتقدمه.

ولما كانت أشد المخاطر في عالمنا المعاصر تولدها السياسات العدوانية للقوى الإمبريالية، وتحالفاتها مع القوى الصهيونية والفاشية والرجعية، وما تمثله من إثارة الحروب والنزاعات، وتهديدها للسلم الدولي، وافتئاتها على سيادة الدول، ونهب ثرواتها، وإعاقة تقدمها. فترتسم محددات قوى اليسار ومهامها، وأولها، مناهضة سياسات هذا التحالف الإمبريالي العدواني، لحماية السلم الدولي، والسيادة الوطنية، وفي الوقت ذاته، النضال ضد الاستبداد، ولتأمين الحريات العامة، والعيش الكريم لأفراد المجتمع، ولتحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية، وتقليص الفوارق الطبقية، وتوفير الضمانات الاجتماعية للقوى العاملة، والحد من جشع قوى رأس المال واستغلالها، واحتكارها للسلطة والثروة.

فقوى اليسار في عالمنا المعاصر، هي القوى المنخرطة في مناهضة الإمبريالية وحلفائها، والمدافعة عن أوطانها، والمناضلة لبناء مجتمع الحرية والديمقراطية، وفي مقدمتها قوى النضال من أجل الاشتراكية، وبالأخص منها الأحزاب الشيوعية والعمالية.

لقد أجج انهيار الاتحاد السوفيتي وأنظمة شرق أوربا في نهاية القرن الماضي نشوة النصر لدى القوى الإمبريالية، وأسرع دعاتها لإعلان (نهاية التاريخ)، ونصبت الولايات المتحدة الامريكية نفسها سيدة مطلقة لقيادة العالم، وعقدت العزم على ألا تسمح للآخرين بأي فرصة لموازاتها، واعتمدت نهج (الحروب الاستباقية)، و(الفوضى الخلاقة)، و(الثورات الملونة)، والعقوبات الاقتصادية، وسائل لتكريس سيطرتها وعولمة سيادتها.

ولكن أحكام التطور التاريخي الموضوعي لم تلبث أن فجرت الأزمة المالية العميقة في مركز قوتها، وهذه الأزمة أغرقت النظام الرأسمالي كله في هوة عميقة، لم يتمكن من معالجة عقابيلها حتى الآن، رغم كل محاولاته، سواء بفرض القيود التجارية أو عسكرة العلاقات الدولية ووضع العالم على حافة الهاوية، أو الافتئات على حقوق الطبقة العاملة ومكتسباتها، مما يلقي على قوى اليسار في العالم مهام تاريخية في التصدي، وقيادة عملية التغيير، وتعبئة كل القوى المتضررة من تلك السياسات الإمبريالية الخرقاء، وإيجاد تحالفات من ممثلي الطبقات المضطهدة، من العمال والمزارعين والطلاب، والفئات العلمية، وما يمثلها من نقابات وأحزاب، ومنظمات للسلم، وحماية البيئة، وحركات التحرر الوطني... وصولاً إلى امتلاك القدرة على قيادة العمل الجماهيري الواسع، عبر نضال نشط وذوب عملي ونظري وتنظيمي، ودعوتها للمشاركة في النضال من أجل التغيير والتطوير نحو مجتمع المساواة والديمقراطية والتنمية العادلة وصولاً إلى المستقبل الاشتراكي، آخذين بالاعتبار أننا نشهد وضعاً عالمياً يتغير، وتتعد أقطابه الرئيسة، وتضرب الأزمات النظام الرأسمالي سواء في بلدانه المتقدمة أو التابعة. ويتعمق الصراع الطبقي بين العاملين والمنتجين من جهة، ومالكي المال ووسائل الإنتاج من جهة أخرى. وبدأت تعود إلى الواجهة أفكار ماركس، وتجري تحولات اجتماعية في العديد من البلدان.

وفي منطقتنا العربية التي تعاني من التخلف والتبعية، والاستبداد والفساد، والاضطهاد الطبقي، واستشراء الإرهاب، والتعصب الديني، والصراعات الطائفية.. وفوق ذلك السياسات الإمبريالية والصهيونية العدوانية، واحتلال أجزاء من أراضي العديد من بلدانها، وتواطؤ الأنظمة الرجعية مع أولئك الأعداء، وهي تسفر اليوم بوقاحة عن وجهها فيما يسمى (صفقة القرن)، لتصفية الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

كل ذلك يطرح على القوى الوطنية والديمقراطية واليسارية مهام مرحلة التحرر الوطني الديمقراطية، التي يندرج ضمنها تحرير الأراضي المحتلة، والتحرر من التبعية، وإنجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة والمستدامة، وهذا يتطلب من القوى اليسارية في بلداننا إيجاد الوسائل الفعالة لتضافر جهودها، وتوحيد رؤاها حول القضايا الرئيسية، وتنسيق أنشطتها المشتركة فيما بينها، وكذلك مع أوسع القوى الشعبية الوطنية والديمقراطية.

وفي بلدنا سورية التي تجابه منذ سبع سنوات ونيف هجمة غير مسبوقة، من شتى قوى الإرهاب والفاشية الدينية، المتحالفة والمدعومة من دول الحلف الأطلسي والأنظمة الرجعية العربية وإسرائيل، بهدف إضعافها وتقسيمها، وإلغاء دورها في مجابهة العدوان الإسرائيلي، وفرض تبعيتها للدول الامبريالية، تشتد الحاجة إلى وحدة جهود كل القوى الوطنية واليسارية والديمقراطية والعلمانية، لدحر الإرهاب، وطرد الغزاة والمحتلين الصهاينة والأمريكان والأتراك والفرنسيين وأتباعهم، وإنقاذ البلاد من هذه الحرب المدمرة، وحماية وحدتها وسيادتها، ومن ثم النهوض بمهام استثنائية من إعادة إعمارها، واستكمال بناء الدولة الحديثة العلمانية الديمقراطية التقدمية، دولة الأمن للوطن والأمان للمواطن.

وفي بلادنا كثيرة القوى التي تحدد موقعها ضمن نسق قوى اليسار، أحزاباً ومنظمات وفئات وأفراداً كثيرين من أوساط علمية وثقافية واجتماعية، وتعلن انحيازها لأكثرية الشعب من الطبقات الفقيرة، وفي مقدمتها الأحزاب الشيوعية والاشتراكية. ولهذه القوى على تنوعها تاريخ مجيد في مقاومة الاحتلال والاستبداد والأحلاف الاستعمارية، والنضال من أجل التقدم ومصالح الطبقات الكادحة وحقوقها، وتوعيتها بهويتها الطبقية، وتنظيم صفوفها للدفاع عن مكتسباتها. وعليها اليوم، دون تأخير، العمل على تنشيط الحوار بين مختلف مكوناتها، لتجميع قواها، وتعزيز روابطها مع أوسع القوى الشعبية، لتشكيل قوى وازنة من العمال والفلاحين والمثقفين والمنتجين، لإنقاذ البلاد من أزماتها، وتوفير الظروف الآمنة لاستئناف دورها وتطورها.

وينضوي منذ عقود العديد من هذه الأحزاب ضمن جبهة وطنية تقدمية. وهي بحاجة اليوم لدراسة تجربتها وتقويمها، وتطوير صيغة أدائها، وتفعيل دورها، لتكون قاعدة لأوسع تحالف لليساريين.

ويتحمل الشيوعيون السوريون بمختلف تنظيماتهم، وكل القوى المسترشدة بالماركسية، مسؤولية إضافية لتوحيد جهودهم، وامتلاك زمام المبادرة في مسار توحيد طاقات عموم اليساريين وجهودهم.

وعلى القوى التي تمسك بالسلطة، وتُحسَب على اليسار، أن تنعطف نحو سياسة المشاركة الفعلية مع القوى اليسارية، وأن تتجنب ممارسات الاستقواء والتفرد في إدارة شؤون البلاد، أو التضييق على القوى اليسارية، التي عليها جميعاً تقديم نقاط التلاقي على الاختلاف، والانضواء ضمن ائتلاف بصيغة متقدمة تجنبها التناحر، وتحقق فضائل التعدد وغناه من جهة، وتضمن لأطرافها الاستقلالية التنظيمية والفكرية، وممارسة نشاطاتها بحرية من جهة ثانية، فأي تضييقات على قوى اليسار تستفيد منها القوى المضادة.

فكل تجارب سلطة الحزب اليساري الواحد، أو جبهات القوى المشروطة بغير التكافؤ، وهيمنة الأجهزة الأمنية، أدت الى تغريب الجماهير الشعبية، وإلى تراكم الاحتقان في استيائها، مما ينذر بانفجارات اجتماعية.

وعلينا أن ندرك أن حاصل تجميع الجهود اليسارية وتآزرها يتجاوز الجمع العددي إلى ناتج نوعي، وحالة في الكيفية تفعل تأثيرها في جماهير الشعب، وتتطور تفاعلها الإيجابي.

وبداية لذلك المسار يمكن التوافق على برنامج نضالي وطني ديمقراطي تقدمي واضح للتغيير، يؤكد المهام المرحلية القريبة ومنها: التأكيد على مجابهة السياسات الإمبريالية والصهيونية، وحماية استقلال الوطن ووحدته أرضاً وشعباً، وتطهيره من قوى الاحتلال والإرهاب والفساد، ومجابهة مساعي البرجوازية الطفيلية والبيروقراطية، وقوى الليبرالية الاقتصادية الجديدة، المرتبطة بالرأسمالية الدولية، وإحباط خططها للاستئثار بثروات الوطن، وافتئاتها على حقوق الجماهير الكادحة ومكتسباتها. والتصميم على وضع البلاد على سكة طريق التقدم والديمقراطية، وضمان الحريات العامة، والمساواة، وفق مبدأ المواطنة دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو الجنس، وسيادة القانون، وحماية حقوق الإنسان وكرامته، ومحاربة الاستغلال والاستلاب والاستبداد، والتقدم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية المخططة، وتطوير دور الدولة الرعائي، لتحقيق العدالة الاجتماعية، واعتبار الإنسان غاية التنمية، وتأمين العيش الكريم للجماهير الشعبية مادياً ومعنوياً، وإنجاز تحولات اجتماعية تراكمية على مراحل متتالية تعزز مواقع التقدم الاجتماعي. ويمكن لهذا البرنامج ألا يغفل الإشارة إلى الأهداف البعيدة المدى وآفاق السير لتحقيق المستقبل الاشتراكي.

ومن الأهمية بمكان الاهتمام بنشر الوعي الجماهيري العلماني العقلاني والطبقي، واحتضان المثقفين للقيام بدورهم لترسيخ الثقافة الوطنية، ولمواجهة التضليل الاستعماري، وتيارات الردة السلفية الدينية المتعصبة، وأفكارها الظلامية، التي تكبل العقل والإرادة بحدود الزمن المنقضي تاريخياً، وغيرها من أفكار النكوص والإرهاب والثورة المضادة، ومظاهر العودة للانتماءات ما قبل المدنية.

ويوازي تلك الأهمية ضرورة جذب الشباب وطاقاتهم الإبداعية، والاستفادة من ميولهم للتجديد والتغيير، ولضمان مستقبل آمن يلبي طموحاتهم، وهذا ينطبق أيضاً على دعم تحرر المرأة ومشاركتها الفعالة في العمل السياسي والاجتماعي.

ولا بد لقوى اليسار من آلية عمل وأشكال من النضال ملائمة لكل مرحلة من تطور المجتمع، تساعدها على تحشيد القوى الشعبية صاحبة المصلحة بإنجاز مهام المرحلة المعنية. وأن تمارس جدلية النقد الذاتي والبناء، وتقويم التجربة باستمرار للتخلص من الأخطاء، والتطهر من الانتهازية، ومن النزوع البيروقراطي، وأن تقترن الممارسة السياسية بالأخلاق والقيم الرفيعة، مما يعزز مصداقيتها لدى الجماهير.

إن مشروعاً لليسار واضحاً في علمانيته، وسماته الوطنية والاجتماعية، يشكل ضرورة موضوعية لإنجاز مهام التحرر الوطني، ويشكل رافعة لتحقيق المشروع النهضوي التقدمي العربي، ولتعزيز التضامن الأممي بين يساريي العالم والقوى والحركات المناهضة للإمبريالية ولصيانة السلم الدولي.

لقد واجه اليسار في العالم صعوبات جدية في نهايات القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين، ولكنه بدأ يجدد عزمه لتجاوزها، في وقت يواجه فيه اليمين أزمات عميقة.

فأفكار الحرية والعدالة والسلم والاشتراكية التي استهوت وجذبت الملايين من سكان الأرض إلى ساحات النضال، ستبقى خياراً واقعياً لليساريين، وهادياً لهم في أداء دورهم التاريخي المنشود.

عضو المكتب السياسي للحزب
الشيوعي السوري الموحد.

كي لا ننسى

إلياس أسعد.. تراث نضالي غني

■ في عام ١٩٢٩، وفي بلدة السويدية السورية، التابعة للواء إسكندرون، ولد الطفل إلياس أسعد (أبو سلام) الذي سيصبح فيما بعد أحد المناضلين في صفوف الحزب الشيوعي السوري، والذي ربط حياته كاملاً بقضية النضال من أجل مصالح كادحي سورية، ومن أجل توطيد استقلالها والحفاظ على وحدة أراضيها. لقد شهد، وهو طفل، مؤامرة سلخ لواء إسكندرون عن الوطن الأم، وكان على أهله أن يهاجروا درءاً للاضطهاد الذي بدأت تمارسه السلطات الحاكمة في تركيا ضد القوى الوطنية السورية، محاولة في ذلك تتريك المواطنين، ومنعهم من التحدث باللغة العربية.

إن وطنية هذه الأسرة ورفضها لهذه السياسة هو ما دفعها لمغادرة مسقط رأسها والتوجه إلى حلب، التي كانت آنذاك لا المركز الصناعي الأول في البلاد فقط، وإنما كانت أيضاً المركز الأول للحركة العمالية في سورية. وفي حلب، وفي غمرة النضال الوطني تحول جميع أفراد هذه الأسرة الباسلة وأبنائهم إلى صفوف الحزب الشيوعي، موحدين نضالهم الوطني بالنضال الطبقي دفاعاً عن حقوق العمال، والكادحين عموماً. كان إلياس عبد الله أسعد في قلب هذا التحول، ولم يتقاعس أبداً عن تنفيذ كل ما كان يتطلبه هذا النضال الصعب، عاش وهو يافع مرحلة جلاء الاستعمار الفرنسي عن البلاد، نتيجة النضالات البطولية للشعب السوري، وعاش مرحلة ما بعد الجلاء، وكان يؤلمه جداً، التعثر الذي عانته سورية الفتية ما بعد الجلاء، فيما يتعلق باختيار طريق تطورها اللاحق، وكان يرى بأم عينيه أن الكثير من المعضلات التي واجهتها البلاد سابقاً من فقر، وتخلف، وأمية، وغيرها، بقيت قائمة ولم تجد حلولاً لها الفئات الحاكمة، التي أصبحت في رأس السلطة بعد الاستقلال.

وكان الإقطاع يجثم على صدر الريف السوري، ويدفع بالبلاد إلى الوراء. إن كل ذلك، قد ملأ صدر هذا الشاب عزماً على أنه يربط مصيره بمصير الشعب الكادح، وأن يعمل هو وأسرته بكل ما يستطيعون من أجل تحرره من نير هذه الطبقة التي كانت قاعدة تعتمد عليها القوى التي كانت تحاول أن تدير عجلة التطور إلى الخلف، وأن تعيد السيطرة الاستعمارية من جديد، وإن بأشكال مختلفة. لقد خاض معارك سورية ضد الأحلاف وضد الديكتاتوريات، ومن أجل خلق ظروف أفضل لحياة أناس العمل، ومن أجل التحرر الاقتصادي والاجتماعي، غير عابئ حتى بمصالحه الشخصية.

إن سلوك هذا الشيوعي، هذا الإنسان المتواضع كان مثالاً حياً للنقاء، وشكل نموذجاً أمام الناس للشيوعي الصادق والأمين معهم، مكرساً بذلك هو وأسرته التقاليد النضالية لشيوعيّ البلاد الأوائل، الذين كانوا يحفرون صخر الواقع بأظافرهم، ويزرعون أفكار المستقبل.

إن تراث هذه الأسرة، وابنها المناضل إلياس أسعد يجب أن يبقى حياً من خلال أجيال المناضلين الجدد، ويجب أن يبقى دائماً في الذاكرة.

يونس صالح

«أردوغان» غارق في أحلام أجداده العثمانيين؟

■ ما فعلته وتفعله تركيا حتى الآن في سورية، يعيد عصراً كان العالم قد احتفل بنهايته (أي عصر نهاية الاستعمار)، إذ نرى الآن أن المجتمع الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة ومجلس الأمن، لم يحرك ساكناً أمام احتلال تركيا لمنطقة (عفرين) السورية، واحتفالات أنقرة بما أسمته (النصر)، مع تعهدات أردوغان المتتالية بالتوسع في حملته العسكرية عبر شمالي سورية، وضم مناطق جديدة منها إلى بلاده، وحتى ضم الموصل العراقية. بالطبع هذه الممارسة التركية هي تكرار لما سبق أن ارتكبته قوى الاستعمار القديمة (الفرنسية والبريطانية وغيرها) من نهب لثروات الدول التي استعمرتها، فقد أظهرت تسجيلات بالفيديو، من مواقع سيطرة الغزاة الأتراك، قيام ضباط وجنود أتراك بأعمال نهب وسلب وسرقة لممتلكات المواطنين والممتلكات العامة في عفرين.

وما يدل على أطماع (أردوغان) في سورية، القرار التركي بتعيين حاكم لمدينة عفرين، والقول بأنه جرى انتخاب برلمان لعفرين أيضاً، فيما تشير الأنباء إلى أن هذا الحاكم ومعه أعضاء ما يسمى بالبرلمان هم من (الجنسية التركية).

دليل آخر على هذه الأطماع التركية المتمثلة بحلم إعادة قيام الإمبراطورية العثمانية البائدة التي سقطت عام ١٩٢٣، تجسد بدراسة لمعهد دراسات الشرق الأوسط، تحدثت عن أن أنقرة تعيد تكرار سياسات التدخل في شؤون دول المنطقة المجاورة لها، لتحقيق الحلم المذكور، عبر خلق وجود عسكري تركي في سورية وغيرها.

وقد أظهرت تطورات الأحداث في سورية منذ عام ٢٠١١ عبر بدء الحرب الإرهابية عليها، أن مشروعاً تركياً باستعمار جزء من الأراضي السورية قد بدأ، منذ أن فتحت تركيا حدودها أمام تدفق المجموعات الإرهابية مع سلاحها إلى سورية بالآلاف، لنشر الفوضى، بما يساعد على تفكيها وتقسيمها. وبالفعل هذا ما جرى، فمع استمرار الفوضى أقدمت تركيا على التدخل في العسكري في سورية، أولاً بعملية (درع الفرات)، ثم (غصن الزيتون) بذريعة الحيلولة دون إقامة كيان كردي على حدودها، ولاحقاً احتلت عفرين، وصرح أكثر من مسؤول تركي بأن الحملة التركية ستمتد إلى (منبج) على الجانب الغربي من نهر الفرات، وذلك لإقامة ما يسمونه (منطقة عازلة) تمتد إلى مسافة (١٨) ميلاً داخل الأراضي السورية.

جدير بالذكر أن بعض الباحثين الغربيين الذين يتابعون سياسة أنقرة في سورية، ربطوا هذه السياسة وترجمتها إلى وقائع على الأرض، بما اعتبروه من وجه نظرهم عقدة اتفاق سايكس- بيكو لعام ١٩١٦ الذي أعاد رسم خريطة الشرق الأوسط وحدود الدول فيها، بشكل أخرج دول المنطقة من تحت سيطرة استعمار الدولة العثمانية التي كانت قد تحولت آنذاك إلى حطام، وأطلق عليها تعبير (الرجل المريض). وهذا الأمر نفسه تحدث عنه (أحمد داود أوغلو) رئيس الوزراء التركي السابق، حين اعتبر أن الحدود الحالية لدولة المنطقة تمثل- حسب زعمه- سرقة ما كانت تركيا تمتلكه كتراث تاريخي!

كذلك تشير دراسة معهد الشرق الأوسط التي أشرنا إليها أعلاه، إلى أن الإرهابيين التكفيريين الذين تسللوا إلى سورية عبر الحدود التركية، وبمساعدة علنية وسرية من المخابرات التركية، بإيعاز من (السلطان أردوغان) نفسه، راحوا يرددون نشيداً تقول كلماته: (مثلما استولينا على تورابورا، فنحن حققنا المجد في عفرين!).

وهكذا يتضح من خلال ما تقدم ذكره من شواهد وأدلة، أن النزعة العثمانية البائدة التي كانت وراء احتلال تركيا لبعض دول المنطقة ومنها سورية لمدة أكثر من أربعمئة عام، مستغلة ضعف هذه الدول وتدهور أحوالها، في ذلك الوقت، هذه النزعة تسيطر الآن على تفكير أردوغان، وحزبه وحكومته، وعلى سياسته وسلوكه. وكأن أردوغان يتوهم أنه بإمكانه، في الظروف العصر الحالي المختلف كلياً عن زمن أجداده العثمانيين، أن يعيد سنوات الاستعمار العثماني البغيض، وهو لا يكتفي في أية مناسبة بأن ينطق بكلمة (العثمانية) في تفاخر وفخ ومخادع ومضلّل، بل يدّعي أيضاً، في الوقت نفسه، أنه يقف إلى جانب القضايا العادلة للدول العربية والإسلامية، مثل قضية فلسطين، في الوقت الذي يعرف فيه الجميع أن التحالف التركي- الإسرائيلي قديم ومتين جداً.

د.صياح عزام

نحو وحدة الشيوعيين السوريين... نحو جبهة يسارية واسعة!

■ نشرت صحيفة (النور) في عددها ٨١٦ تصريحاً لناطق رسمي باسم الحزب الشيوعي السوري الموحد يتناول فيه ما تتداوله مواقع التواصل الاجتماعي من مناشدات ونداءات تدعو لتوحيد الشيوعيين السوريين في حزب واحد. ثم تطرق الناطق إلى الخطوات والمبادرات التي قام بها الحزب على مدى السنوات الأخيرة دون أن تؤدي إلى نتيجة حتى الآن، مع تأكيده على مواصلة الجهود لتحقيق هذا الهدف.

لا شك في أن تلك المناشدات لوحدة الشيوعيين في سورية تنطلق حتماً من نوايا طيبة حريصة على حزب عمره تجاوز تسعين عاماً، وقدم تضحيات لا تُنكَر وشهداء في النضال من أجل وطن حر وشعب سعيد، إلا أن الانقسامات التي عصفت به عرقلت نضاله لتحقيق ما جاء في برامجه، ودفعت كثيرين للجلوس في منازلهم، بعد أن قدموا تضحيات كبيرة مخزونة في ذاكرة الناس.

بودّي المساهمة في هذا السجال الضروري والمطلوب:

أولاً- أعتبر أن رفع شعار توحيد الشيوعيين، أو وحدة الشيوعيين في حزب واحد، الآن بالذات وفي الظروف التي تمر بها سورية، شعار غير واقعي ، رغم حسن نوايا من يرفعه (ربما لو كان الوضع في سورية طبيعياً لكان لنا حديث آخر ولوافقنا عليه).

الأفضل البدء بالتنسيق بين الشيوعيين في مختلف النشاطات مع الحفاظ على الهياكل التنظيمية القائمة لحين نضوج قناعة لدى جميع الأطراف بالاندماج. أعرف أنه طريق ليس بالسهل، لكنه أضمن إن أردنا وحدة تدوم.

مسألة اخرى على جانب كبير من الأهمية، برأيي، وهي نسيان أو تناسي الشيوعيين الموجودين خارج الهياكل التنظيمية القائمة. المفروض التواصل معهم وسماع آرائهم في هذه المسألة، مع تخصيص زاوية دائمة في صحيفة النور لنشر الآراء والسجالات. إن كثيرين ممن هم خارج الهياكل التنظيمية القائمة يحوزون على احترام جميع الأطراف، طبعاً الحديث يدور هنا حول الشيوعيين الذين حافظوا على تاريخهم ولم ينخرطوا في الإساءة للحزب وتاريخه أو الهجوم عليه، أو من انتقل إلى الضفة المعادية تماماً للوطن ولقضية الشيوعية.

ثانياً- لمست من بين سطور تصريح الناطق الرسمي محاولة تبرير الذات وإلقاء المسؤولية على الأطراف الشيوعية الأخرى... وكأنه من خلال تعداد المبادرات التي اتخذها يريد القول (لا تعتبوا علينا، عملنا كل شيء والكرة في ملعب الآخرين)! وكفى المؤمنين شر القتال. نعم، هي مسؤولية جميع الأطراف وليست مسؤولية طرف واحد، لكن لا يجوز الاستسلام للعوائق والصعوبات والحساسيات المتراكمة عبر عقود.

ثالثاً- كنت أنتظر أن يطرح الناطق الرسمي رؤية منهجية فيما سيعمله الحزب مستقبلاً من أجل وحدة الشيوعيين ، تتضمن خطوات أو آراء ملموسة في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل... وليس الاكتفاء بجملة تقول (ستواصل قيادة الحزب بذل الجهود من أجل تحقيق هذا الهدف)، دون ذكر كيف أو ما هي هذه الجهود بالملموس .

بالملموس كيف يمكن ان نبدأ؟

* العمل للقاء بين مختلف الأطراف الشيوعية لصياغة برنامج الحد الأدنى حول أزمة الوطن ورؤية الخروج منها.

* إجراء لقاءات بين مختلف الأطراف الشيوعية للقيام بفعاليات مشتركة في المناسبات الوطنية أو الأممية.

* إصدار بيانات مشتركة.

* بث روح تعزيز العلاقات الشخصية وعلى كل المستويات، والتأكيد على ما يجمع الشيوعيين، ونسيان ولو مؤقتاً الخلافات مهما كان نوعها.

أليس من المفارقة أن يتحالف أو يلتقي الشيوعيون مع أطراف قد تكون قريبة أو بعيدة إلى حدّ ما عنهم فكرياً، ولا يجدون السبيل للقاء رفاق الأمس القريب الذين توحّدهم الإيديولوجيا؟

إنه لعمري سؤال محرق.

إن تحقيق هذه الخطوات أو غيرها يؤدي إلى كسر الجليد، ويمهد الطريق نحو الهدف النهائي وهو توحيد الشيوعيين.

من جهة أخرى، وانطلاقاً من الظروف التي تمر بها سورية، أرى أن يكون العمل الآن ليس فقط من أجل توحيد الشيوعيين السوريين على مشروعيته وأهميته، بل السعي والعمل بشكل مواز من أجل جبهة يسارية شعبية واسعة تضم مختلف أطياف اليسار السوري، لمواجهة الفاشية الدينية والإرهاب، كما الفساد. من جهتي لا أرى أي تعارض بين المهمتين: العمل من أجل وحدة الشيوعيين، والسعي لجبهة يسارية تلتقي حول برنامج الحد الأدنى من أجل إخراج سورية من محنتها.

فليكن شعار المرحلة: نحو وحدة الشيوعيين السوريين ونحو جبهة يسارية واسعة من أجل سورية موحدة، ديموقراطية، علمانية، وخالية من الفساد. نحن نرى كيف تحاول القوى الرجعية الإرهابية التي خسرت المعركة عسكرياً، التغلغل في مختلف مفاصل الدولة والمجتمع تحت أشكال وشعارات مضللة، لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه عسكرياً. والرد الحقيقي هو بالعمل لحشد جميع القوى اليسارية الوطنية، العلمانية، من أجل غد يليق بسورية وبنضالات وتضحيات الشعب والجيش السوري.

إنها دعوة لجميع الشيوعيين أينما كانت مواقعهم، ولقوى اليسار السوري أحزاباً ، وهيئات، وتجمعات وأفراداً.

ختاماً، أتمنى أن يستمر هذا النقاش حول هذه المسائل الهامة.

طلال الإمام
السويد

الملتقى الدولي للاحتفال بالذكرى المئتين لميلاد ماركس ومرور ٤٠ سنة على الإصلاح الاقتصادي في الصين

فؤاد اللحام (*)

■ شارك في الملتقى (عدا المشاركين الصينيين) ١٢٤ مشاركاً، يمثلون ٧٠ حزباً شيوعياً وماركسياً وتقدمياً من ٥٠ دولة منهم ٢٠ مشاركاً من الدول العربية (٦ من فلسطين و٥ من مصر و٣ من تونس و٢ من المغرب و١ من كل من الأردن ولبنان وسورية وموريتانيا).

أقيم اللقاء الأول في مدينة شنشنغ المقابلة لهونغ كونغ، وتضمن برنامج الملتقى في هذه المدينة زيارات رسمية لمركز بناء الحزب في مجال ريادة الأعمال، ومنطقة التعاون لقطاع الخدمات الحديثة، وشركة التكنولوجيا العالية، ومكتبة شنشنغ، والقرية الشعبية الصينية.

وفي ٢٨ / ٥ افتتحت الندوة الخاصة بالذكرى المئتين لولادة كارل ماركس بعنوان (الماركسية في القرن الحادي والعشرين ومستقبل الاشتراكية العلمية). تلاها عقد جلسة حول أفكار شي جينبنغ للاشتركية ذات الخصائص الصينية والماركسية في القرن الحادي والعشرين.

وفي ٢٩ / ٥ الانتقال إلى بكين حيث عقد اجتماع بين الوفد من الدول العربية، والسيد تشاو وي دونغ (مدير عام إدارة غرب آسيا وشمال إفريقيا بدائرة العلاقات الخارجية باللجنة المركزية)، واجتماع آخر مع السيد لي جيون (نائب وزير دائرة العلاقات الخارجية للجنة المركزية)، وجرت مناقشة الماركسية في القرن الحادي والعشرين والتجربة الصينية بعد مرور ٤٠ عاماً على الإصلاح الاقتصادي

في هذا الاجتماع عُرضت أوراق عدد من الوفود المشاركة، ومنها ورقة عمل الحزب الشيوعي السوري الموحد هذا نصها:

الرفيقات والرفاق

باسم الحزب الشيوعي السوري الموحد، نتقدم بخالص الشكر والتقدير للرفاق في الحزب الشيوعي الصيني، على دعوتهم للمشاركة في هذا اللقاء الهام للاحتفال بالذكرى المئتين لميلاد كارل ماركس، وإطلاع القوى الماركسية والتقدمية في البلدان العربية على تجربة جمهورية الصين الشعبية المميزة، والاستفادة من خبرتها وتجربتها في إعداد وتنفيذ استراتيجيات وبرامج تطوير بلدانها. كما نتقدم لجمهورية الصين الشعبية بخالص الشكر والتقدير لموقفها المشرف من الأزمة السورية ودعمها المتعدد الوجوه للجمهورية العربية السورية.

لقد ثبتت منذ بداية القرن العشرين الماضي صحة مقولة كارل ماركس بأن الشعوب ستأتي إلى الاشتراكية بطرقها الخاصة وليس بنموذج واحد. وأن الماركسية أداة للعمل والنضال والتطوير وليست نظرية جامدة. الأمر الذي أكدته تجارب العديد من البلدان الاشتراكية والتقدمية في انتقالها من مرحلة الرأسمالية إلى أنظمة اشتراكية أو تتطلع لبناء الاشتراكية من خلال تحقيق الربط والترابط الخلاق بين مبادئ الماركسية والظروف الخاصة بكل بلد. ولا شك بأن نجاح التجربة الصينية يقدم برهاناً واضحاً على ذلك. وقد أكد الرفيق شي جين بينغ (رئيس جمهورية الصين الشعبية - الأمين العام للحزب الشيوعي الصيني)، في الاجتماع الأخير للاحتفال بالذكرى المئتين لولادة كارل ماركس، أنه لا يوجد نمط وحيد وغير قابل للتغيير للاشتراكية، وأنه من أجل تحويل الخطة النظرية إلى واقع ملموس، من الضروري أن ندمج المبادىء الأساسية للاشتراكية العلمية مع واقع البلاد وتاريخها وثقافتها، فضلاً عن دمجها مع متطلبات العصر، مؤكداً أن المهمة المقدسة للشيوعيين الصينيين هي تطوير الماركسية على نحو مستمر. كما أوضح الرفيق شي جين بينغ أن الماركسية نظرية مفتوحة تتطور باستمرار وتقف دوماً في مقدمة العصور، وهذا هو السبب في أنها قادرة دائماً على الحفاظ على شبابها واستكشاف القضايا الجديدة في تطور العصور والاستجابة للتحديات الجديدة التي يواجهها المجتمع البشري.

إن التجربة الصينية اليوم، بقيادة الرفيق شي جينغ بينغ، تشكل تطوراً هاماً في النظرية الماركسية وفهماً عميقاً وعملياً لمبادئها ومرتكزاتها. وتتركز هذه الأهمية بأنها ليست رؤية نظرية أو اجتهاداً فكرياً فقط، بل هي حقيقة أثبتت وجودها وصحتها على أرض الواقع، من خلال الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي حققتها الصين تنفيذاً لهذه الرؤية التطويرية خلال السنوات الماضية، وحولت الصين إلى قوة اقتصادية دولية كبرى سبقت الكثير من الدول المتقدمة الأخرى، وهو أمر لا يستطيع أحد إنكاره أو التشكيك فيه. كما أن التجربة الصينية لم تعتمد فقط على الفهم العملي العميق للنظرية الماركسية ولظروف وإمكانيات الصين الخاصة، بل ترافق ذلك مع استخلاص الدروس المستفادة من انهيار الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية في أوربا الشرقية وفهم معمق للنظام الرأسمالي وكيفية الاستفادة من بعض مزاياه وتجنب نواقصه وعيوبه من أجل تحقيق الأهداف المنشودة. ومن هنا فإن القوى والأحزاب الماركسية والتقدمية في الوطن العربي تنظر إلى هذه التجربة كخيار يمكن الاستفادة منه والاستئناس به في عملها من أجل تطوير بلدانها وتحقيق أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تصبو إلى تحقيقها. وهنا لابد من الإشارة إلى أن المطلوب ليس النقل الحذافيري أو النسخ الكامل لهذه التجربة، بل دراستها والاستفادة منها في صياغة خطة عمل هذه القوى وفق الظروف الموضوعية الخاصة بكل بلد، كما فعلت الصين نفسها.

إننا في سورية كإحدى البلدان النامية نتطلع إلى الاستفادة من التجربة الصينية، خاصة في هذه المرحلة الصعبة التي تعيشها بلدنا حالياً بسبب الحرب الظالمة التي تجري فيها وعليها، وما نجم وينجم عنها من مشاكل وصعوبات اقتصادية واجتماعية جديدة، إضافة إلى تلك التي برزت قبل نشوب الأزمة في عام ٢٠١١ نتيجة السياسات الليبرالية والانفتاح الاقتصادي غير المدروس الذي جرى خلال تلك الفترة.

إن التدمير الهائل الذي شهدته سورية والذي شمل المرافق العامة والبنى التحتية الإنتاجية والخدمية والمعامل والمساكن والأراضي الزراعية، وكذلك ارتفاع نسب النزوح والهجرة الداخلية والخارجية من السكان وخاصة من ذوي الكفاءات وأصحاب رؤوس الأموال، إن كل هذه الأمور تجعل من عملية إعادة الإعمار في سورية مسألة شاقة وطويلة ومكلفة، وعلى كل القوى السياسية السورية وقيادة النظام السياسي الجديد الذي سيجري الانتقال إليه نتيجة التوصل إلى توافق محلي إقليمي دولي، العمل على إنجاز هذه المهمة الضخمة في أقصر فترة وأقل كلفة وأفضل مردود. وأن يجري تحويل الأزمة الفريدة التي تعيشها سورية حالياً إلى فرصة حقيقية للتنمية الشاملة والعادلة. ومما لاشك فيه أن هذه العملية لا يمكن تحقيقها بالشكل المأمول بإمكانيات الجهات الحكومية الرسمية فقط، بل لابد من الاستفادة من إمكانيات القطاع الخاص المحلي والاستثمارات الخارجية، وخاصة من الدول الصديقة كالصين وغيرها... مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على دور الدولة الأساسي في المرافق والمجالات الأساسية والسيادية ومحاربة الفساد.

إننا نطمح من خلال هذه الزيارة الهامة لجمهورية الصين الشعبية الإطلاع عن كثب على هذه التجربة الغنية والوقوف على إجابات عملية لمجموعة هامة من التساؤلات حول التجربة الصينية، لفهمها بشكل أعمق وأدق للاستفادة منها في بلورة رأينا ومواقفنا حول معالجة الأوضاع السورية الراهنة والمستقبلية. ومن أهم هذه التساؤلات ما يلي:

١. في مجال التعامل مع القطاع الخاص المحلي والأجنبي: كيف استطاعت الحكومة الصينية التوفيق بين الدور الاقتصادي الأساسي للدولة، وفسح المجالات الاستثمارية للمستثمرين المحليين والأجانب؟ وهل فُتحت كل المجالات أمام هؤلاء المستثمرين أم كانت محصورة في مجالات محددة؟ وما هي أهم العقبات والصعوبات والمخاطر التي واجهت هذه العملية؟ وكيف جرت معالجتها وتجاوزها؟ وكيف تم تأمين النزاهة والشفافية في فتح مجالات الاستثمار ومنح التراخيص والامتيازات والحيلولة دون بروز مراكز فساد، ووجود أفراد وقوى داخلية تتحالف معه وتخدم مصالحه؟ وكيف تم التعامل مع مثل هذه الظواهر في حال بروزها؟

٢. في مجال تنمية المدن والمناطق المختلفة والمتباينة من حيث مستوى التنمية: كيف تم العمل على توزيع ثمار التنمية بشكل عادل بين المناطق وبين الأفراد؟ وكيف تم التعامل مع المشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر في المدن والريف؟ وكيف شجعت الدولة هذه المشاريع وعملت على تجميعها وترابطها؟

٣. كيف تم توفير المناخ المناسب والشروط اللازمة لنقل التكنولوجيا من الدول الأخرى ومن ثم توطينها وتطويرها؟

٤. كيف يتم حماية المنتج المحلي وتشجيعه على التصدير؟

٥. كيف يتم تمويل المشاريع الخاصة من البنوك؟ وهل هناك حوافز معينة لأنشطة محددة؟

أخيراً نتمنى من خلال هذه الزيارة والمناقشات والتوضيحات التي ستقدم خلال الاجتماعات واللقاءات مع المسؤولين الصينيين أن نستطيع بلورة فكرة أولية عما يمكن الاستفادة من تجربة الصين الشعبية تساهم في وضع تصور وطني لمرحلة إعادة إعمار سورية بما يحقق طموحات وتطلعات الشعب السوري في نظام وطني تقدمي تعددي يحافظ على وحدة سورية أرضاً وشعباً ويحقق التنمية العادلة لكل أبنائها ومناطقها.

نكرر شكرنا وتقديرنا لجمهورية الصين الشعبية التي أتاحت لنا فرصة هذا اللقاء الهام الذي سنبذل ما نستطيع من أجل نقله إلى رفاقنا وأصدقائنا وشركائنا للاستفادة منه.

(*) عضو أمانة المكتب السياسي
في الحزب الشيوعي السوري الموحد

الإدارة
هل نعترف بها؟

■ يكاد يجمع كل من تعامل مع الإدارات الحكومية وبعض المؤسسات، على جسامة المعاناة مما نسميه البيروقراطية، حيث تتحكم المكاتب في مصالح الناس، وكم من هيئة وطنية أو مؤسسة ذهبت أدراج الرياح بسبب ذلك الغول غير المرئي الذي نُجمع على تسميته البيروقراطية، ولا نكاد نجد له وصفاً محدداً، ويتعاظم شبح البيروقراطية في مؤسساتنا الرسمية إلى درجة من التراكم يسمّيه البعض منا: الفساد الإداري، الذي لا تنفع معه الحلول الدوائية المسكّنة، فتتعطّل مصالح البشر، ويفقد المجتمع حماس خيرة عناصره، وتتبدد موارده بما لا طائل منه، وتمضي الأمور في معظم توجهات التنظيم الإداري على عكس الثلاثية الذهبية المعروفة التي تقول لنا: عليكم- أولاً- بالدعم والتشجيع للعاملين في المؤسسة، فتقوم الإدارة بالرقابة التفصيلية والتهديد وعدم الثقة، وتقول لنا- ثانياً- عليكم بتحميل المسؤولية للعاملين معكم في المؤسسة وفق هامش أكبر من الحرية في التصرف، فتقوم الإدارة بالتقييد الحرفي بالإجراءات وتطبيق اللوائح وخلق الممنوعات وتركيز القرار في يد الرئيس (المسؤول) حفاظاً على الوجاهة والتحقق غير السوي للذات، وتقول لنا- ثالثاً- عليكم بتثمين قدرات العاملين معكم، وتقوم الإدارة بالنقد غير الحصيف، والإمعان في تحديد الأخطاء والمحاسبة على التفاصيل، حتى يشعر العاملون بعدم أهمية عملهم.

إنها مجموعة من القيم المضادة التي تتعارض مع تحقيق أهداف الإدارة، ويجب البحث عن أسبابها في ثنايا ثقافتنا وتعليمنا وفهمنا الحقيقي لتقديم الخدمة للناس. وفي مجتمعنا الذي يعود بأكثريته إلى أصول ريفية أو بدوية تمدينت (بالمعنى العلمي) حديثاً، فلاشك أنها بعيدة عن القيم التي استقرت في المدن تاريخياً، وذلك ليس عيباً بذاته، ولكن العيب أن نبقى أسرى لتلك الفكرة- فكرة بُعدنا عن قيم المدينة الحديثة المستقرة- دون أن نبحث بجدّ في قيم إيجابية- وهي كثيرة- في تلك المجتمعات الموجودة لدينا، ونوائم بينها وبين متطلبات الإدارة الناجحة، وذلك لتقديم خدمة أفضل، وما دامت هناك شكوى من البيروقراطية والفساد الإداري، فهذا يعني دون شك وجود ناس واعين بالمشكلة وخطرها، وبالتالي من الضروري البحث للوصول إلى حلول ناجعة لها.

لعل البعض يعتقد أن تطوير الإدارة ونجاحها يعتمدان على وجود أنظمة مادية وفنية حديثة، ولو أن هذا القول يشكل جزءاً من الحقيقة، إلا أن جوهر الإدارة هو الثقة بالبشر، فالموارد البشرية مقدَّمة على الموارد المالية، مهما علا شأن الأخيرة، فأهداف العاملين في المؤسسة وحاجاتهم يجب أن تتناسق وتتكامل مع أهدافها، فلا يمكن أن ينجح مشروع في تحقيق أهدافه بإهمال العاملين فيه. حجر الزاوية في عملية إصلاح الإدارة في البلاد، أو تطويرها، هو النظر بجدية إلى إنسانية الإنسان السوري، ومهما تحقق للمؤسسات من تقنية إدارية حديثة، فهي دون الإنسان أحجار خاوية لا تقدم ولا تؤخر، وإذا تحدثنا عن الإنسان فنحن لا نتحدث في المطلق، بل نتحدث عن واقع معيشي، فأنت لا تستطيع أن تستفيد من نظم المعلومات التي تفجرت على نطاق واسع في هذا العالم المحيط بنا، دون تهيئة الإنسان لاستقبال هذه المعلومات واستخدامها، وحتى يتم التدليل على فداحة الخسارة في استخدام المعلومات، عندما لا يتهيأ البشر لها، فإن أحد الإحصاءات يشير إلى أن هناك مئات المليارات قد أُنفقت (في إحدى البلدان العربية) على تقنية المعلومات، ليكون العائد في المقابل ارتفاعاً في الإنتاجية لا يتجاوز نسبة ١٪ فقط!

إن الاستفادة من تقنية المعلومات في بلادنا، مهما أُنفق عليها، دون تدريب صحيح وحقيقي للبشر، لن تزيد بأي حال عن تلك النسبة.

لذلك فالقول إن الثروة الحقيقية ومصدر الإبداع الرئيسي في مجتمعنا هي موارده البشرية هو قول حقيقي ودقيق، ولكن كم من هذه الموارد عندنا مهملة، بل يجري العمل على تبديدها وإحباطها!

إن العناية بالثروة البشرية تستلزم وجود عاملين أساسيين، هما التعليم، والتدريب، ولتحقيق التغيير المطلوب في المجتمع ككل، وفي الإدارة على وجه الخصوص، لا بدّ من العناية بالتعليم كيفاً وكماً، فرفع مستوى الثروة البشرية وكفاءتها يؤديان، تلقائياً تقريباً، إلى تحسين أدائها، وجودة إنتاجها، وعند النظر إلى تعليمنا السوري فإن هناك الكثير مما نفتقر إليه. كما لا يمكن إدارة الموارد البشرية ورفع كفاءتها، لتحقيق الاستخدام الأمثل، دون تدريب، ويجري التعليم والتدريب في الدول الصناعية يداً بيد، بينما يوجد لدينا طلاق بائن بين التعليم والتدريب، إلى درجة أن (الشهادة) أصبحت- إلى حد كبير- لا تعني شيئاً في الواقع العملي، بينما هي كل شيء في قناعة الكثيرين، إذ يسعى الناس إلى الحصول على شهادات مختلفة، من أجل إثبات الذات وتحقيق نصر معنوي لا غير!

وحتى نلفت النظر إلى أهمية العنصر البشري، علينا فقط دراسة كيف تتخاطف الشركات والمؤسسات الكبرى العقول الإدارية الناجحة، بل إن الدول المتقدمة تدخل حروباً اقتصادية ودبلوماسية للاستحواذ على هذه العقول ، وكم من شركة قاربت على الإفلاس جيء لها بمدير كفء، فتحول احتمال إفلاسها إلى تحقيق أرباح لم تكن متخيلة!

التعليم والتدريب في بلادنا أيضاً لا صلة حقيقية بينهما وبين احتياجات سوق العمل، هناك نوايا طيبة وهناك اتجاهات محمودة لدى كثير من مؤسسات التعليم والتدريب عندنا، ولكن هناك أيضاً نتائج محدودة، وسبب هذا التضارب بين النوايا الطيبة والنتائج المحدودة، يرجع، في ظني، إلى غياب عنصرين في مجال الإدارة، يرتبط كل منهما بالآخر، أولهما: أننا برغم القبول المنطقي بخطورة موضوع الإدارة الحديثة، في نجاح أو فشل أي مشروع، ويؤمن بذلك الكثيرون من أصحاب الاختصاص الأكاديمي على وجه التحديد، فإننا لا نمتلك اليقين فيما يمكن أن تفعله هذه الإدارة، وثانيهما: أننا مازلنا بعيدين عن مقاربة موضوع الإدارة برؤية ابداعية.. فلا إدارة حديثة، دون رؤية، ورؤية إبداعية على وجه الخصوص.

إن البطل الجديد الذي يجب أن تتعامل معه الإدارة الحديثة هو جهد العقل البشري عند توظيف طاقاته المرهفة في إطار تكنولوجيا عصرية، عندئذ يصبح الابتكار عنصراً مرادفاً للإدارة.. وبالتالي فإن طريقة التعامل مع المعلومات والموارد والطاقة تؤدي إلى إيجاد طرق جديدة في العمل وحل المشكلات، وباختصار هو الخروج بجديد من ركام القديم والتقليدي والمعتاد.

إن الفشل في استغلال الإبداع الكامن لدى الإنسان بسبب جهله بوجود هذه القدرة أو عدم المبالاة أو بسبب التعنت المقصود ليس هدراً بقدر ما هو خيانة للنفس.

وكم نتمنى أن لا تتم خيانة الأنفس حتى لا يخوننا الحاضر والمستقبل.

يونس صالح

إضراب عمّال السكك الحديد في فرنسا: أفول الحركة النقابية أم ولادتها من جديد؟

■ يخوض عمّال الشركة الوطنية للسكك الحديد الفرنسية إضراباً مستمراً منذ ٣ نيسان الماضي لمواجهة (إصلاحات) الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. يُعدّ هذا الإضراب أهم تحرّك عمّالي واجتماعي منذ عام ١٩٩٥، عندما نجحت النقابات العمّالية في إسقاط مشروع رئيس الوزراء آنذاك (ألان جوبيه) للمسّ بمكتسبات التقاعد والضمان الاجتماعي. منذ ذلك الوقت، لم تحقّق النقابات العمّالية أي إنجاز مفصلي في مواجهة الإصلاحات البنيوية للحكومات الفرنسية المُتعاقبة. لذلك، يكتسب الصراع الحالي أهمية بالغة، وربّما حدّد مصير فرنسا الاقتصادي والنقابي المستقبلي.

في ١٤ آذار الماضي، أعلن رئيس الوزراء الفرنسي (إدوارد فيليب) الإصلاحات المُرتقبة للشركة الوطنية للسكك الحديد، أي المؤسّسة العامة التي تحتكر النقل السككي في فرنسا. وتتضمّن هذه (الإصلاحات) إلغاء الوضع الخاص للمستخدمين في الشركة، الذي يمنح نحو ١٣١ ألف عامل أماناً وظيفياً لمدى الحياة، وإمكانية التقاعد المبكر في عمر ٥٢ عاماً، ومنع الصرف من الوظيفة لأسباب اقتصادية. لكن الأكثر خطورة يكمن في أن هذه الإصلاحات تأتي ضمن إطار سعي الحكومة إلى تغيير الوضعية القانونية للمؤسّسة من شركة عامة إلى شركة مُساهمة ذات تمويل عام، تمهيداً لخصخصتها وفتح السكك الحديد أمام المنافسة تماشياً مع متطلبات الاتحاد الأوربي. ففيما يبدو هذا التغيير شكلياً، ما دام تمويل الشركة عامّاً، أقدمت الحكومات الفرنسية على خطوات مماثلة سابقاً في شركتي البريد والاتصالات الوطنيتين، أدت إلى خصخصتهما كاملاً.

إلغاء النموذج الاجتماعي الفرنسي

تكتسب المواجهة الحالية بين عمّال السكك الحديد وماكرون أهمّية خاصة ومفصلية، من المرجح أن ترسم نتائجها المرحلة المُقبلة وأن تحدّد وجه فرنسا الاقتصادي والاجتماعي. فهذا الصراع سيقرّر ما إذا كانت فرنسا ستركب بنحو كامل قطار النيوليبرالية، على غرار جيرانها في الاتحاد الأوربي، وخصوصاً بريطانيا، حيث جرت خصخصة معظم الخدمات والشركات العامة منذ عقود، وطغى على سوق العمل الهشاشة والقلق عند القطاعين الخاص والعام (٧٥٪ من المستخدمين يعملون بعقود غير محدودة الأجل). أو أن نتيجة هذا الصراع ستحافظ على نموذج دولة الرعاية الاجتماعية والخدمات العامة خارج منطق السوق. هذه المواجهة شبيهة بتلك التي خاضها عمّال المناجم مع (مارغريت تاتشر) في بريطانيا، وهي المعركة التي حسمت التحوّل النيوليبرالي العميق الذي طبع اقتصاد بريطانيا حتى يومنا هذا. إضافة إلى التعديلات التي تطول الإجراءات الضريبية وقانون العمل، يحاول ماكرون فرض (إصلاحات) على النظام الجامعي، لإلغاء المساواة في مجال التسجيل في الجامعات، لمصلحة إدخال شروط للقبول المُسبق في الجامعات، بحيث تعالج الجامعة كل طلب فردياً، وتقرّر قبول الطالب من عدمه وفق علاماته وسيرته الذاتية، على غرار الأنظمة المُعتمدة في بريطانيا والولايات المتحدة. كذلك يقترح هذا (الإصلاح) رفع رسوم التسجيل.

ومع الهجوم على عمّال السكك الحديد وظروف عملهم، يعمد ماكرون إلى استخدام منطق الصدمة من أجل فرض تغييرات جذرية بدفعة واحدة، من شأنها أن تغيّر النظام الاجتماعي الفرنسي بنحو عميق، وبذلك يكون الصراع الحالي على الشركة الوطنية للسكك الحديدية المدخل الرئيسي كي يكمل ماكرون مشروعه نحو صرف ١٢٠ ألف عامل في القطاع العام، وإلغاء حمايات الموظّفين العموميين، والمسّ بأنظمة التقاعد والضمان الاجتماعي، إذ إنه سيكون قد كسر الجسم العمّالي الأقوى في فرنسا. بالفعل، يُعَدّ عمّال السكك الحديد العمود الفقري للحركة النقابية الفرنسية منذ تأسيس الشركة الوطنية، فدخولهم في التحرّكات النقابية والاجتماعية يكون عاملاً مفصلياً في نجاحها، نظراً لنضاليتهم العالية وانتماء معظمهم إلى النقابات القريبة من الحزب الشيوعي واليسار الراديكالي. فقدرتهم التعطيلية عالية، وهم يستطيعون شلّ فرنسا بأكملها، لكونهم يسيّرون شبكة التنقّل الأكثر استخداماً لدى الفرنسيين. كذلك إن نسبة الانتساب النقابي بينهم تصل إلى ١٨٪، وهي الأعلى في فرنسا.

منذ ٣ نيسان الماضي، يضرب العمّال يومين كل خمسة أيام، وقد كلّف هذا الإضراب الشركة نحو ٤٠٠ مليون يورو حتى يومنا هذا. ففيما يؤلّب ماكرون الرأي العام الفرنسي على عمّال القطاع العام تحت حجّة أنهم ذوو امتيازات خاصة وكسولون (٦٠٪ يؤيدون الإصلاحات)، يخوض العمّال معركتهم دفاعاً عن الخدمات العامة التي تساوي بين جميع المواطنين. إذاً، المعركة تأخذ بعداً يتخطّى السكك الحديد، إذ لا مبرر اقتصادياً لإدخال هذه التعديلات، التي تنطلق من خلفية إيديولوجية بحتة، لكون الشركة حقّقت أرباحاً وصلت إلى ١,٣ مليار يورو السنة الماضية، وهي من الأفضل في أوربا.

إثبات جدوى النقابات العمّالية الفرنسية

في خضمّ هذه المعركة مع ماكرون، تخوض النقابات العمّالية من خلال عمّال السكك الحديد صراعاً داخل الصراع، وهو حول أفول الحركة النقابية الفرنسية أو إعادة ولادتها وتجدّدها. تشهد النقابات العمّالية تدهوراً في نسبة الانتساب، التي انخفضت من أكثر من ١٥٪ في عام ١٩٨٣ إلى ١١٪ اليوم، وهي من أدنى النسب في أوربا. وتعكس العضوية النقابية الشرخ القطاعي، ذلك أن نسبة الانتساب لدى العمّال في القطاع العام هي ضعف زملائهم في الخاص.

ويشير ذلك إلى ضعف الثقة في العمل النقابي الذي يزداد بيروقراطية مع حصر نزاعات العمل في المجالس المشتركة داخل أماكن العمل، ما يحوّله من نضال مطلبي وصراعي إلى عمل وساطات وتسويات. ويضاف إلى ذلك ازدياد نسبة العمل الهشّ في فرنسا، أي العمّال ذوي العقود القصيرة، والعمل الجزئي وغيرها من أشكال الأعمال التي لا توفر الحماية، لتشكّل ١٧٪ من مجمل الأجراء، وهؤلاء غير ممثلين في التنظيمات النقابية. وظهر ذلك خلال الاحتجاجات ضد تعديل قانون العمل السنة الماضية، الذي يرجّح أن يفاقم أزمة الهشاشة لدى العاملين، إذ إن النقابات العمّالية لم تنجح بالتحشيد، وذهبت بعض النقابات لعقد اتفاقات جانبية مع الحكومة حين كانت التظاهرات بأوجها. إضافة إلى ذلك، كانت مشاركة عمّال سكك الحديد، وعمّال القطاع العام بالمجمل، ضعيفة، ما سهّل إمرار التعديلات.

ويعبّر ذلك عن ضعف التضامن العمالي، فضلاً عن أن الثقل النقابي هو في القطاع العام من جهة، وعن قصر النظر من جهة أخرى، إذ إن عدم انخراط عمّال سكك الحديد في الاحتجاجات مردّه إلى أن التعديلات لا تمسّ بهم، لكن انتصار ماكرون في هذه المواجهة هو ما مهّد له الطريق للانقضاض على عمّال السكك الحديد وشركتهم.

إذاً، الصورة ليست واضحة الآن. من جهة، يراهن ماكرون على دعم الفرنسيين لخطّته بإلغاء الشروط الخاصة لعمّال السكك الحديد، كما على انسحاب بعض النقابات من التحرّكات، وخصوصاً التنظيم الأكبر فيها، أي الاتحاد العمّالي العام الديمقراطي الذي يفضّل الحوار على المواجهة. ومن جهة أخرى، يراهن العمّال على قدرتهم التعطيلية وشلّ فرنسا وانقلاب الفرنسيين على الرئيس وتمسّكهم بالخدمات العامة.

هذا الصراع سيقرّر ما إذا كانت فرنسا ستركب قطار النيوليبرالية، أو ستحافظ على نموذج دولة الرعاية الاجتماعية.

لكنّ الأهم من ذلك، تعتمد النقابات العمّالية على انضمام قطاعات أخرى من الفرنسيين واستيائهم من سياسات ماكرون، كطلاب الجامعات والمدارس الذين يمثلون قوة نضالية مهمّة. ولكن من أجل تحقيق ذلك يتحتّم على النقابات لجم نزعتها التسووية، لمصلحة منطق الصراع والمواجهة.

هل ينتصر ماكرون ويعلن كسر العمود الفقري للحركة النقابية، ويعبّد الطريق لتعميم الهشاشة على كل فئات العمّال، وخصخصة ما بقي من خدمات عامّة؟ أم تكون هذه المعركة فرصة لإعادة تجديد الحركة النقابية الفرنسية على أسس جديدة، وتأسيس حركة نقابية واجتماعية تتخطّى أماكن العمل، التي بانتصارها يمكن أن تشكّل نقطة تحوّل ليس في فرنسا فحسب، بل في أوربا أيضاً؟

نبيل عبدو
(الأخبار)

أفول المثقف العربي.. حسين مروة أنموذجاً

■ لماذا اغتيل حسين مروة؟ ومن اغتاله أو ما الجهة التي أمرت باغتياله؟ وما الذي دفعها إلى ذلك؟ أين تكمن أهمية حسين مروة؟ ما مغزاه الفكري؟ لماذا أحست هذه الجهة الآثمة بضرورة تصفية علم فكري وباحث رصين جدي في النقد الأدبي والثقافي وفي الفلسفة وتاريخها؟ لماذا عدته خطراً ماثلا عليها ينبغي تصفيته جسديا؟ لدينا هنا مفكر رصين محكم يكتب للخاصة في جل الأوقات ويلتزم تماما بالمعايير البحثية والأكاديمية ويحرص على أن تكون لغته لغة بحثية دقيقة لا تحمل أي تحريض مباشر أو تجريح . فلماذا إذاً تقدم هذه الجهة على تصفيته جسديا بهذه الصورة البشعة، حيث أقدم الجناة على تصفية شيخ جليل بلغ من العمر عتيا (٧٧عاماً) في منزله وأمام أنظار أفراد أسرته وبدم بارد؟ ثم إنها أتبعته بعد مدة وجيزة باغتيال رفيقه وتلميذه النجيب المفكر الكبير مهدي عامل. أليس الأمر غريبا؟ لماذا خص هذان المفكران المحكمان الكبيران، اللذان كانا يكتبان للخاصة، تحديداً بهذه المعاملة العدوانية؟

وإذا عدنا إلى ما كتب عن حيثيات عمليتي الاغتيال، ما وجدنا ما يشفي الغليل وتركنا حيارى نتكهن ونستغرب ونتساءل. فلم يجرؤ أحد ممن كتب عن هذه الملابسات والحيثيات، حسب علمي، على تحديد الجهة التي وقفت وراء هاتين العمليتين المشينتين، سوى القول إنها جهة طائفية ظلامية. هناك من يوجه أصابع الاتهام إلى حركة أمل وحزب الله، ولكن من دون أن يسوقوا أي دليل مقنع ومن دون تقديم أي تفسير مقنع. وهناك من يتهامس على استحياء بصدد تورط جهاز مخابرات عربي في ذلك، ولكن من دون تفصيل ونقاش. إنه لأمر محير. ما الخطب؟

وعوضا عن البقاء تائها في هذه الحلقة المفرغة، ارتأيت أن أقارب الموضوع عبر البحث في المغزى الفكري التاريخي لحسين مروة ومغزى عمله في سياق تاريخ حركة التحرر الوطني العربية في القرن العشرين.

وأبدأ بالملاحظة الآتية . شهد العقدان الأخيران تراجعا ملحوظاً في قوة العلاقة بين الفكر والواقع في الوطن العربي، أي في تأثير المثقفين والمفكرين العرب في الشارع العربي. وسيطر عليه إعلاميو الفضائيات وسياسيوها ورجال الدين (الكهنوت)، وجميعهم يتسمون بالضحالة والوثرثرة والإثارة واللاعقلانية. لم يهبط منسوب العقل والفكر العربي مرة واحدة إلى هذا المستوى منذ بدايات القرن التاسع عشر. فلدينا اليوم نخبة من المثقفين والمفكرين والأكاديميين ضيقي الأفق قابعين في أبراجهم العاجية الشاهقة ومعزولين فيها عن الحياة يقابلهم شارع مستلب يحركة اللاعقل والظلام من أجهزة أمنية وكهنوت وسياسيين وإعلاميين مأجورين يحترفون التزييف والوثرثرة السياسية والدينية. فشارعنا العربي اليوم واقع بين مطرقة الكهنوت ولاعقل الثورة المضادة وبين سندان النيوليبرالية الأميركية المتهافتة. والنتيجة المرة هي شلل الشارع العربي الناجم عن تغييب العقل والواقع والتاريخ.

وبالطبع، فإن الأمر لم يكن دوما هكذا. إذ كان لدى المفكر العربي فيما مضى ميل واضح صوب السياسة والتأثير فيها والتأثير في الشارع عبرها. هذا ما نلحظه بجلاء في مفكري النهضة. لكن نفوذ المفكر العربي ظل محدوداً لأنه وجد في الحزب النمطي العربي عائقا أمامه، بدلا من أن يكون جسره للوصول إلى برّ الشارع العربي. فقد اتسمت الأحزاب العربية بميولها البراجماتية ونفورها من الفكر المعمق. وانحازت صوب العقيدة والفعل التقليدي على حساب العقل والفعل الاستراتيجي. وسعت إلى إقصاء المفكر وعزله وتحييده، ولكن ضمن حدود. إذ ظل للمفكر دوره المهم. وظهر على تخوم الأحزاب مفكرون كبار (منيف الرزاز، سمير أمين، إلياس مرقص)، لكن أثرهم ظل محدوداً. وبدأ بعضهم يشق طريقة إلى قلب الأحزاب. وأخص بالذكر محمود أمين العالم وياسين الحافظ. لكن أوج هذه الظاهرة الجديدة في الحياة السياسة العربية تمثل في عملاقين فكريين : حسين مروة ومهدي عامل. إذ أفلحا في شق طريقهما إلى حزب عربي طليعي مؤثر وفاعل، هو الحزب الشيوعي اللبناني. ووجد هذان المفكران في هذا الحزب الجسر الأمثل للوصول إلى الشارع والجماهير. لم تكن الأحزاب العربية قادرة في السابق على استيعاب المفكرين الكبار في قلبها. لكن الحزب الشيوعي اللبناني في سبعينيات القرن الماضي بدأ يتحول بنيويا صوب بناء تلك القدرة الاستيعابية. وبدأ التواصل الجدلي بين الحزب والمفكر يأخذ دوره على الساحة العربية وبدأ يأخذ طابعاً بلشفيا لينينيا ويتمثل اللحظة اللينينية العظيمة في منطقتنا المنكوبة. فكان لا بد من وأد هذه الطاهرة في مهدها بتصفية رمزيها العملاقين.

صعود غورباتشوف وتراجع الحركة الشيوعية

واستغنمت قوى الثورة المضادة فرصة تراجع الحركة الشيوعية إثر صعود غورباتشوف إلى قمة هرم السلطة في الاتحاد السوفييتي. إذ اشتمت هذه القوى رائحة انهيار الاتحاد السوفييتي ونزاعه الأخير ورأته يترنح تحت وطأة إرثه المعذب المثخن بالجراح العميقة الغور، فاستغنمت لحظة ضعف الحركة الشيوعية العالمية من أجل تصفية هذين المثقفين العضويين، فاصمة بذلك عرى الترابط والتواصل بين المفكر والشارع، ومهمشة الأحزاب ومجردة إياها من مضمونها النهضوي التاريخي. وبالفعل، فبعد اغتيال الشهيدين الكبيرين وما تلاه من أحداث جسام، خيم على الشارع العربي الظلامية الدينية والضحالة النيوليبرالية الأميركية، وتحول مرتعا للكهنوت والساسة الانتهازيين وإعلاميي الفضائيات المأجورين، وانزوى المفكرون في أبراجهم العاجية وجامعاتهم المعزولة عن مجتمعاتها بأسوار غليظة شاهقة.

ولكن، ما الذي كان يسعى إليه الشهيدان ومن ورائهما قوى مؤثرة في الحزب الشيوعي اللبناني؟

يبدو لي أن الشهيدين كانا يسعيان إلى بلشفة الحزب الشيوعي اللبناني، أي تحويله إلى حزب مفكر وجماهيري في آن. كانا يسعيان إلى تحويل الحركة الماركسية العربية إلى حركة تحرر وطني شاملة على غرار ما تم في روسيا والصين وكوريا وفييتنام وكوبا، أي تحويلها من مجرد ملاذ مطلبي لفئات وأقليات مهمشة إلى حركة نهوض جماهيرية شاملة تمثل الأمة برمتها. وبلغة غرامشي، فقد كانا يسعيان إلى خلق الشروط العلمية والثقافية لإحراز الحزب الشيوعي اللبناني الهيمنة في المجتمع اللبناني، تمهيداً لهيمنة الحركة الماركسية عربيا. لذلك فقد أرادا أن يستوعبا نظريا وماركسيا الوضع العربي برمته، ماضيا وحاضراً وآفاقاً مستقبلية. لقد أرادا أن يحولا الأحزاب الشيوعية العربية من أحزاب نخبوية مطلبية ملحقة بما يسمى البرجوازية الوطنية ومشروعها المزعوم إلى حركة حضارية تاريخية شاملة تقود الجماهير العربية صوب الوحدة والاستقلال والتقدم الحضاري. لذلك وضع الشهيد حسين مروة نصب عينيه تملك التاريخ الفكري العربي الإسلامي بوحدته الثقافية برمته، وهو مشروع تعجز مؤسسات بكاملها عن تحقيقه. أما مهدي عامل، فقد انبرى لتملك الواقع العربي الراهن بنيويا من جميع أوجهه، أنماط إنتاج وبنى سياسية وآيديولوجية. إنه بالفعل لمشروع مذهل من حيث طموحه واتساع نطاقه.

وفي هذا السياق نتساءل: لماذا شعر الحزب الشيوعي اللبناني عام ١٩٦٨ بالحاجة إلى تكليف مفكره الكبير، حسين مروة، لكتابة دراسة عن التراث العربي الإسلامي؟ والعام ١٩٦٨ بالطبع هو العام الذي انعقد فيه مؤتمر مفصلي للحزب الشيوعي اللبناني شكل انعطافة كبرى في تاريخه وصيرورته حركة تحرر وطني شاملة. كذلك، لماذا شعر حسين مروة بالحاجة إلى قضاء عشر سنوات كاملة من البحث المضني لكي يضع ما أسماه زتقريرهس عن التراث العربي الإسلامي ويقدمه إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني عام ١٩٧٨؟ عشر سنوات من العمل الذهني الشاق من أجل وضع تقرير فكري فلسفي تاريخي. هل شهد وطننا الحديث مثيلا لهذه الجدية الفكرية والآيديولوجية، التي أبداها كل من الحزب الشيوعي اللبناني وحسين مروة؟! لماذا شعر كلاهما بضرورة تملك التراث بالمنهجية الماركسية، التي تحمل في طياتها القدرة على النفاذ إلى قلب الواقع؟

ياسين الحافظ والوعي المفوت

وهنا نأتي إلى ما أسماه ياسين الحافظ الوعي المفوت. وهو الوعي الذي ما زال مهيمنا في الوطن العربي اليوم على صعيدي النخب والشارع . وهو وعي غير قادر على رؤية الطبيعة والتاريخ على حقيقتهما وفي حقيقتهما. فآيديولوجياته اللاهوتية تحجب عنه العقل والطبيعة والتاريخ . لذلك فهو لا يمارس فعله في الواقع الحقيقي، وإنما في عالم متخيل فقير وهزيل. وهو وعي ما قبل علمي في بنيته الداخلية. كما إنه ليس وعيا حرا، وإنما هو وعي مكبل بكبله ماضٍ وهمي متخيل (أي تراث وهمي له جذور في التراث الفعلي) وحاضر وهمي صنعته وسائل الإعلام والثقافة الغربية وامتداداتها العربية الحديثة. وتحيط بصورة هذا الماضي هالة من القدسية، فيما تحيط بصورة هذا الحاضر هالة من الهيبة الشيطانية. وكلتا الصورتين تحولان دون نفاذ الوعي إلى سرهما المتمثل بالواقع الفعلي. وبالطبع فإن هذا الوعي المفوت المكبل مشلول الفعل والإرادة، ومن ثم يحول الشارع والجماهير إلى مجرد موضوع سكوني مفعول فيه، ويحول دون تحوله إلى ذات متحركة فاعلة تصنع التاريخ. لذلك فإن المهمة الأولى الملقاة على عاتق حزب التغيير هي فك إسار هذا الوعي وتحريره مما يكبله ومن ذاته، ومن ثم إدخاله في سيرورة ثورة ثقافية تفككه وتعيد تركيبه على أسس حداثوية تقدمية. لكن ذلك كله يستلزم تملك حزب التغيير منهجية النفاذ إلى قلب الواقع الفعلي، واقع الماضي الفعلي وواقع الحاضر الفعلي. وعملية التملك هذا ليست بالمسألة اليسيرة والسهلة، وإنما تستلزم معاناة ومكابدة فكريتين ووجدانيتين عميقتين. وهذا ما حققه حسين مروة ومهدي عامل بتملكهما المنهجية الماركسية بصفتها أداة النظر إلى قلب الواقع مقدمة لتغييره في اتجاه حل تناقضاته. لقد أفلح هذان المفكران الكبيران في تملك هذه المنهجية واستعمالها بطريقة مبدعة ومبتكرة لسبر أغوار الماضي والحاضر. وكان على حسين مروة تحديداً سبر أغوار التراث العربي الإسلامي بهذه الأدوات الماركسية المتميزة من أجل الكشف عن حقيقته وقيمته الحقيقية وسوغاته وبوصفه تراثا فكريا إنسانيا عظيما ترك أثره العميق على مسيرة الحضارة البشرية. كان عليه أن يكشف الأساس الإنساني التاريخي لهذا التراث ويفهمه بوصفه نتاجا بشريا تاريخيا، ومن ثم يسلط الضوء على أبعاده العقلانية والمادية والعلمية المغيبة تماماً شرقا وغربا. كان عليه أن يفعل ذلك كله من أجل تفكيك الصورة الغيبية المثالية للتراث، تلك الصورة المتخيلة الوهمية التي تربض بثقلها على الوعي العربي فتخنقه وتكبله وتمنعه من رؤية الواقع والفعل فيه وتغييره. لقد خلقت الثورة المضادة العربية، التي سيطرت على وعينا تماماً منذ ستة قرون، هذه الصورة الوهمية لتراثنا وكبلت الوعي العربي السائد بها. ومالت هذه الصورة إلى تغييب الأساس الإنساني التاريخي لهذا التراث وطمس عناصر العقل والمادية والعلم فيه، مدعمة بذلك الصورة الاستشراقية النمطية التي غيبت العناصر ذاتها، ولكن من الزاوية المقابلة. فالصورتان تحاولان أن تؤكدا عجز الإنسان العربي، وبخاصة عجزه عن أنتاج علم وعقل متقدم. فالدين للشرق والعلم للغرب، وفق الصورتين كلتيهما. لكن حسين مروة يدحض الصورتين في آن بإظهار الأساس الإنساني التاريخي للتراث العربي الإسلامي ونزعاته العقلانية والمادية والجدلية والعلمية. كما إنه يدحض بمنهجه المادي التاريخي الجدلي مقولة أن العرب كانوا مجرد نقله وكلب حراسة ، وأن الفلسفة والعلم في حضارتنا كانا مجرد وافد مستورد من الحضارات الأخرى وأنهما لم يتوطنا بعمق في حضارتنا، ومن ثم أن العرب لم يحققوا أي جديد فيهما. إنه بالفعل يرد الاعتبار إلى علم الكلام والفلسفة والتصوف العربية الإسلامية بوضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي. إذ تبدو الفلسفات العربية متشابهة أحيانا إلى حد التماثل . بل وتبدو نسخة طبق الأصل عن أرسطو مطعمة بعناصر من أفلوطين. إنها لتبدو كذلك على السطح. ولكن ما إن يضعها المرء في سياقها الطبقي التاريخي حتى تتكشف للمرء أعماق وطبقات تميزها تماما عن بعضها بعضا وعن الفلسفة الإغريقية. ومن ذلك تنبع أهمية الماركسية في دراسة التراث الفكري. فهي تضيء الأعماق والعناصر المستترة المغيبة والتي تكسب الكل معنى ومغزى.

ويمكن أن نكمل مشوار حسين مروة الطويل بربط تراثنا العربي الإسلامي بتراث المنطقة القديم السابق عليه، تراث البابليين والكنعانيين والآراميين والمصريين والهلنستيين والفرس، واعتباره امتداداً واستمراراً لذلك التراث القديم. عند ذاك يتضح لدينا أن العلم الدقيق والعقلانية الفلسفية نشآ في منطقتنا وعالمنا العربي ونضجا فيه أيضا، وبخاصة في المرحلة العربية الإسلامية، التي انصهرت في بوتقتها وتوحدت سائر العناصر الحضارية القديمة. لكن هذا العقل النظري العربي ظل مقصوراً على جيوب متفرقة مكانيا وزمانيا ولم يتح له أن يطغى . وحوصر من جانب قوى الثورة المضادة ولاعقلها اللاهوتي. فكانت النتيجة أن أخفقت حضارتنا، التي تمتد إلى الوراء لعشرة آلاف عام، في تخطي العقلانية الفلسفية القديمة صوب العقلانية العلمية الحديثة والثورة العلمية الكبرى. كما إن الحصار على هذه الجيوب اشتد حتى أفلح في خنقها، فانطفأت في بلادنا وتلاشت تماماً ولم تترك أثراً في حضارتنا في الأعوام الأربعمائة الأخيرة. فكان أن انتقلت شعلة الحضارة من منطقتنا إلى أوروبا الشمالية لأول مرة في التاريخ، بعد أن ظلت منطقتنا مركز الحضارة العالمية لعشرة آلاف عام. ولئن انطفأت جيوب العلم الدقيق والعقلانية الفلسفية القديمة في منطقتنا من دون أن تترك أثراً على حاضرنا وماضينا القريب، فقد ترسخت في تربة أوروبا الرأسمالية الصاعدة ونمت بتسارع مذهل حتى قوضت أركان الإقطاع والحضارة التقليدية . لقد انهزمت العقلانية العربية في ديارها، لكنها انتصرت في أوروبا الرأسمالية الصاعدة. وكان هذا الانتصار مقدمة لتخطيها صوب عقلانية أكثر تطوراً وارتقاء، العقلانية العلمية. لقد كان حريا بكوبرنيكوس، مفجر الثورة العلمية الكبرى، أن يكون عربيا، لكن مكر التاريخ جعله بولنديا.

وهكذا، فإن مهمة كبيرة تنتظر من يحققها: تخطي الوعي المفوت وتملك ما فقدناه، أعني العقل، ولكن بصورته الحديثة العلمية. وهذا بالضبط ما بدأه الشهيدان الكبيران: حسين مروة ومهدي عامل . فلنسر على خطاهما ونستأنف مسيرتهما ونكمل مشوارهما...

هشام غصيب

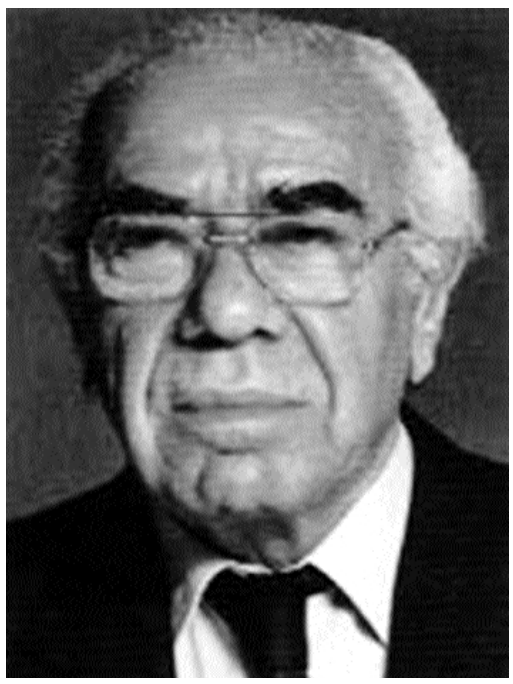

فضاءات ضيقة

د. عاطف البطرس

التفكير الرغبي وموضوعية الواقع

■ لا تعني حرية الرأي أن تقول كل ما يخطر بذهنك من أفكار وآراء ومواقف، فالرأي هنا يعني الاعتقاد، وحرية الاعتقاد يُفهم منها أنك حر في تأمين كل ما يساهم في تشكيل أرضية فكرية معرفية لديك، تمكّنك من إبداء رأيك في القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، بحسب مؤهلاتك ومكوناتك موقعك الثقافي.

كما أنك لست حراً في طرح أفكارك دون تمحيص ووعي بمدى تأثيرها في المتلقين وخطورة تلك الأفكار عليهم، وهذا المعيار ليس تضييقاً على الحريات وإنما هو تعيين وتحديد وترهين لها.

قبل إطلاق الأحكام المعبرة عن آرائنا، علينا أن نتحرى مدى مصداقية هذه الأحكام، ليست كما نظن نعتقد، فالذات المفكرة صاحبة الرأي عرضة لتجاذبات مختلفة، وهي رهينة تراكمات معقدة من الصعب فرزها من قبل الذات المفكرة نفسها، بسبب التحيزات المدركة أحياناً والخفية في أحيان كثيرة.

مرجعية الأحكام هي الواقع في شبكة علاقاته، والناس مختلفون في رؤيتهم لهذا الواقع، فيزيائياً أعين الناس لا ترى بشكل واحد، إضافة إلى عمليات التحليل والتركيب لاستخلاص الأحكام، وهي تفاعلات كيميائية متبدلة تتغير بتنوع المصادر المعتمدة عليها.

من حق أي إنسان أن يصدر حكماً أو أن يتخذ موقفاً أو رأياً، أياً كان هذا الرأي، فقيمته تتأتى، لا من موقع قائله أو المكان المنشور فيه، وإنما من مصداقية الرأي نفسه وصوابيته.

اعتماد مبدأ (تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين) ليس قيمة معيارية مطلقة، القيمة الحقيقية في أهمية الرأي وخطورته التي تكمن في تأثيره على الكلية الاجتماعية وليس على بعض الفئات أو العناصر أو المقومات المكونة لها.

تطالعنا الصحف الرسمية بمقالات متنوعة في موضوعاتها وفي أهدافها ومضامينها، وليس بالضرورة أن يعبر كل مقال عن رأي الجريدة أو الجهة التي تصدرها، ولكن من الخطر بمكان أن تنشر صحيفة معروفة بنهجها ومواقفها مقالاً لا ينسجم مع خطّها أو مواقف الجهة التي تشرف على إصدارها، وإن حصل ذلك فليس فيه دلالة على تغير موقف الجريدة، وإنما تبقى المادة المنشورة معبرة عن رأي كاتبها، بغض النظر عن الصواب أو الخطأ في هذا الرأي، ويمكن أن يرّدّ على المادة المنشورة بهدوء، أو بالإعلان عن عدم تبني الجريدة رأي صاحب المادة المنشورة.

في اللحظات الحرجة، والمواقف المفصلية، لابد من توخي الحذر والحيطة الشديدة، ليس تخوفاً من إبداء الرأي، وإنما من باب التروي وجمع المعطيات والوقائع قبل إصدار الأحكام النهائية، فالحرية والديمقراطية مفاهيم نحن بأمسّ الحاجة، اليوم، إلى إعادة النظر فيها وتثبيتها في الوعي الاجتماعي، مع ربطها بالمستوى الثقافي والمنسوب المعرفي للقوى الاجتماعية التي من حقها أن تمارسها سلوكاً وفكراً ونقداً.

تظهر خطورة ذلك عندما نبدي آراء في قضايا قارّة راسخة في أذهان العامة، التعرض لها يحتاج إلى كثير من الدربة والحيطة والموضوعية المستندة إلى فهم الواقع قدر المستطاع، وإدراك حجم القوى الفاعلة ودورها فيه، وهنا علينا أن نُقصي ما استطعنا التفكير الرغبي لدينا، وأن نحتكم إلى ما تفرزه الوقائع من أنشطة وفعاليات تعبر بشكل مباشر عن قناعات الفئات الشعبية الواسعة من أبناء شعبنا، مبتعدين عن المظاهر التي تساهم في التطرف وتساعد على نشر الظلامية والفئوية والتعصّب، أياً كان شكله والحل التي يرتديها.

atef.albbo71@gmail.com

ارتباط ظاهرة صعود التدين السياسي بالهيمنة الإمبريالية

■ يختلق كثيرون مبررات مفبركة لظاهرة صعود الدين السياسي على مستوى العالم وفي منطقتنا خصوصاً، تركز بشكل عام على اعتبار ذلك الصعود نتيجة فشل الفكر المادي العلماني، لعب بعض المثقفين المأجورين دوراً كبيراً في ذلك، إلى جانب اختلاق الإعلام، وغالبيته العظمى لسان حال الطغمة المالية المتحكمة بعالمنا، صورة مضللة في وعي الناس تُظهر عفوية الظاهرة وديمومتها. وأما المتدينون أنفسهم فمقتنعون بتلك الديمومة ورسوخ الفكر الديني وأزليته، ولديهم مآخذهم الملقنة والمكررة على علمانية فكر الأنوار، ومسؤوليتها عن مأساة الإنسان المعاصر. لكن الحقيقة أن اللاهوت أعجز من أن يعيد إنتاج ذاته في زمن التطور العقلي المادي، وإن تعطيل عمل العقل والتفكير العلمي النقدي للشعوب التواقة للتحرر كان أحد أهم الأهداف الجوهرية التي نجحت قوى الهيمنة الاستعمارية في تحقيقها، بالحرب النفسية والشغل المخابراتي عبر مسار طويل من صراع الوجود بين هذه القوى وقوى التقدم والعدالة الاجتماعية، ولا شك أنه كان عملاً باهظ الكلفة المادية والروحية، أطال عمر الهيمنة من جهة، وراكم فائضاً من تقرحاتها وقيحها من جهة ثانية.

كان بعث القيم الدينية الماضوية أنجع وسائل تعطيل عمل العقل العلمي والتفكير النقدي، وقد أنجز وفق عمل مخطط، مدروس وبفعل فاعل تمكّن من توظيف الدين في السياسة الدولية، ونجح في ذلك نجاحاً باهراً. ومع أن الحقيقة عموماً مغيّبة في زمننا بشكل مريب ومقلق، لكن نقيض ذلك التغييب المتعمد ما يزال حاضراً في العديد من مؤلفات أصحاب الضمائر الحية، بغض النظر عن التوافق التام بالضرورة مع مجمل معطيات تلك المؤلفات، فمن المهم جداً تسليط الضوء عليها كي لا تغيب الحقيقة كلياً. ومن تلك المؤلفات بالغة الأهمية كتاب الدكتور جورج قرم (نحو مقاربة دنيوية للنزاعات في الشرق الأوسط) الذي يفضّل بدلاً من مصطلح (عودة الدين) أن يستخدم مصطلحه: (اللجوء إلى الدين) مبرراً بأن الدين لم يغب حتى يعود، ولكنه في الوقت ذاته، يؤكد كل التفاصيل المتعلقة بمنهجية عملية تعطيل العقل ومن يقف وراءها وأهدافه والأسباب التي أدت إلى ذلك اللجوء، فما يهم في النتيجة سواء كانت عودة أو صعوداً أو لجوءاً إلى الدين أن هناك منعطفاً هو الأخطر والأكثر توحشاً في التاريخ هوت إليه البشرية، يشرحه المؤلف: (نواجه اليوم المرحلة الأهم من تقسيم العالم إيديولوجيا عبر استخدام العنصر الديني كأداة المصفوفة الحقيقية لكل أشكال الاستبداد الحديث)– ص ٨٤. ويعدد مظاهر استراتيجية محاصرة التفكير العقلي العلمي وخنقه، التي سبق أن عرضتها في مقال آخر، لكن الأهم هنا ربط الدكتور قرم بين تلك المظاهر، ومشروع الهيمنة الإمبريالية.

وصف المؤلف الوهابية (ص١١١) بأنها ثورة أصولية متزمته لقبيلة بدوية صغيرة تحالفت مع آل سعود منذ نهاية القرن الثامن عشر، وفشلت في توحيد المسلمين تحت رايتها، لكن مؤامرات الدبلوماسية البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى هي التي خلقت الظروف المؤاتية لسلطتها. وأضاف: منذ نشأة المملكة السعودية كان هدف إيديولوجيتها مكافحة الإلحاد، وخاصة بوجهه الماركسي السوفييتي، ومنع تحديث المجتمع السعودي ومجتمعات دول الجوار، وكان العدو الرئيسي للمملكة هو القومية العلمانية المعادية للاستعمار، واستكمل المشهد موضحاً (ص١٤٧) الغاية من مزج السياسة بالدين بأنها شلل للفكر النقدي والمواطني، يحول دون إرساء العلمانية.

خلاصة الأمر أن البريطانيين ثم الأمريكيين قد وظفوا الوهابية في خدمة المصالح السياسية الاستعمارية، وبرز ذلك بوضوح في التصدي للخطاب العلماني المبني على فلسفة الأنوار لحركة عدم الانحياز، الذي تمحور حول التوزيع العادل للثروات بين الدول الصناعية والدول النامية، وحق السيادة على هذه الثروات، ومبادئ العدالة الدولية، كما برز بشكل أكثر شراسة ودموية في تصدي الوهابية للإيديولوجيا الماركسية الأخذة حينها بالانتشار الواسع خارج حدود الاتحاد السوفييتي، وخاصة في الفضاء العربي الذي تعتبره السعودية وقفاً خاصاً بها. فمنذ عام ١٩٧٣ أصبحت المملكة تملك قدرات مالية هائلة بسبب ارتفاع أسعار النفط مما زاد من نفوذها، فوزعت التبرعات والهبات بسخاء على الأنظمة لتغيير توجهها الإيديولوجي نحو أنظمة إسلامية، وكذلك بشكل فردي على الصحفيين والمثقفين، إضافة إلى دعم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في قمع الأحزاب الشيوعية بعنف وبصورة دامية، وبدأت تسود أنظمة ساعية إلى فرض جو إسلامي معاد للماركسية، يقوم على التعاضد العشائري ومفهوم (أمة المؤمنين) والخلط بين الزمني والروحي في النظام السياسي، وكلها قيم تتناقض مع العلمانية وحقوق الأفراد والدول.

يقول الكاتب: حتى بداية السبعينيات من القرن الماضي تقدمت حركة التحديث الفكري والثقافي والمؤسساتي بخطا عملاقة في مصر والعراق وسورية وتونس، فقد مارست هذه الدول نظاماً علمانياً بدرجات متفاوتة أثارت سخط الأوساط المحافظة التي تعتبر نفسها وصية على العقيدة الإسلامية، إذ لم يكن الدين - دون أن يقصى - يشكل عنصراً مركزياً في الهوية الاجتماعية والوطنية في الدول المعنية، لكن هزيمة حزيران ١٩٦٧ والحضور القوي للمملكة السعودية كانا العاملان الرئيسيان في التراجع السريع للقومية العربية ذات الطابع العلماني.

لقد انتهزت السعودية الإحباط القومي الناجم عن الهزيمة لتصدير الإيديولوجيا الوهابية المتشددة، فتحت رعايتها أخضع العالم العربي لعملية إعادة أسلمة المجتمع، فبدأ إرث النهضة بالاضمحلال تدريجياً وعادت إلى الواجهة تفسيرات العقيدة الأشد أصولية، وفوق ذلك أصبح ينظر إلى العلمانية على أنها مؤامرة غربية لسلب المجتمعات الإسلامية شخصيتها.

إن الدول الاستعمارية التي كانت وراء تلك الجريمة النكراء كانت قد فقدت مصداقيتها أمام شعوب المنطقة، بعد تبني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن، بسبب عدم تطبيقها لتلك المبادئ على المجتمعات التي تسيطر عليها وراء البحار. ومع عودة الاستعمار الجديد (غزو العولمة الاقتصادية والعسكرية والثقافية) والدور الكبير الذي كلفت به الأيديولوجيات الدينية لتكريس الغزو، بعد أن أحلت قيمها محل التفكير السياسي بالاستبداد والعنف وشراء الضمائر، يستحوذ القلق على مسار الحياة الدولية برمتها، كتب الدكتور جورج قرم: (أن الأثر اللاذع للعولمة الاقتصادية في المجتمعات كافة وما نتج عنها من اضطرابات اجتماعية - اقتصادية في بقاع الأرض، أدى إلى ضعضعة المثالية الكامنة وراء أشكال التضامن في نظام المواطنة لمصلحة التلاعب بالهوية الدينية والعرقية، فسهلت المتاجرة بهذه الهويات من خلال سياسات الذاكرة الناتجة عن الفئات البشرية المغتربة والهشة)– ص ٢٢٣.

إن العنوان العريض للمرحلة هو توظيف قوى الهيمنة النيوليبرالية الدين من اجل توسيع نفوذها في العالم وضمان بقائها واستمرار نهبها لثروات الشعوب على حساب دماء ملايين من أبنائها، وبالتالي فالعناوين الفرعية هي أجزاء من النص ذاته، وأي تشجيع حكومي في دول الأطراف، سواء كانت تابعة أو ذات سيادة، للحركات الدينية الأصولية أو ماسمي بالمعتدلة هو انصياع لتلك القوى العالمية المهيمنة وخدمة لمشروعها، مهما بلغت حدة التناقضات القائمة بين أطراف الصراع.

بولس سركو

المعرفة... نبع يرفد الذات ويرتقي بها

■ منذ أن ظهر الإنسان على وجه البسيطة لم يستكن لما وُجدَ عليه، بل حاول بشكل عفوي استكشاف محيطه كي يتمكّن من الحياة، مُستخدماً الرسوم والرموز والإشارات كي يتواصل مع من يشاركونه تلك الأرض. ومع استمرار مسيرته، استمر سعيه الدؤوب للاكتشاف والاطلاع ومعرفة كل ما تقع عليه يده أو عيناه، فشكّل بهذا تراكماً معرفياً بدائياً ساعده على اكتشاف أساليب ووسائل أفضل لمعيشته وعلاقته بالآخرين. وبهذه الخاصيّة التي ميّزت الإنسان عن باقي الكائنات الحيّة تطورت البشرية واستمرت رحلة الاستكشاف والاكتشاف حتى يومنا هذا، وستستمر ما استمر الوجود البشري في الحياة.

إذاً، هذا يقودنا إلى القول إن الحياة لا يمكن أن تتطور وترتقي إلاّ بالمعرفة، وما هذه المعرفة إلاّ من تراكم الخبرات الفردية والجمعية المتأتّية من محاولة الاطلاع المستمر على مختلف أنواع العلوم والثقافات الإنسانية، لاكتشاف ما هو أفضل لرفاهية الإنسان ورقي الحضارات عبر تلاقح معرفي حقيقي.

لكن، حين نكتفي كأفراد بما لدينا من معارف نجترها في كل آن ونقف على أطلالها باستمرار، فإننا ولا شكّ نسير في دروب الاضمحلال والتلاشي بسبب الجهل وانعدام الفاعلية والتأثير والتأثّر بما تُفرزه يومياً الأبحاث والاكتشافات والثقافات والعلوم المتجددة، والتي يمكن تشبيهها بالنبع الفيّاض الذي يمدُّنا بالحياة والوجود الإنساني اللائق بوعينا وعقلنا الذي ميّزنا عن سائر الكائنات الحيّة.

إن ما ينطبق على الفرد ينطبق بالتأكيد على الدول والأمم بالمستوى ذاته، باعتبارها تتكون من مجموع أولئك الأفراد الذين يُفترض بحكوماتهم تأمين كل متطلبات المعرفة لهم، من مدارس وجامعات تقوم على أسس علمية مُمَنهجة مستندة إلى علوم وأبحاث تهدف إلى الارتقاء بوعي الإنسان، مثلما يتطلّب أيضاً المزيد من دور الثقافة والنشر ووسائل الإعلام المتعددة والمتنوّعة، يُكلل كل هذا حرية المعرفة والرأي والإبداع الذي يُشكّل الرافعة الأساسية للتطور والارتقاء.

إيمان أحمد ونوس

الثقافة والمعرفة على طاولة التداول

■ الثالثة صباحاً، ساعات قليلة تفصلني عن خوض معركتي الأولى مع امتحان الفصل الثاني لعامي الدراسيّ الثالث في الجامعة.. فتحت عيوني على جولطيف يزيد النوم لذّة، وخصوصاً لتعب مازال يأكل رموشي الناعسة، نسمات صيفيّة رقيقة كانت تُلقي عليّ تعويذاتها وتسحبني للغوص في الأحلام.

ثلاث ساعات قضيتها في النوم لا تكفي حتّى أنني كُدت أكَذّب عقارب الساعة، لا بدّ أن أحدهم حرّك العقارب، أنا لم أنم بعد، كانت رِقّة عين لا أكثر.

راحت الأسئلة المجنونة تلعب بعدّاد نشاطي: لماذا كل هذا التعب؟ وكل هذا الحرمان؟

ماذا لو كنتُ أنثى بلا أيّ قيد ينهب منها أبسط حقوق عيشها؟

ماذا سيجري لو فضلت النوم ومشواراً مسائياً مع أصدقائي عن مقرر جامعي مُمِلّ؟!

ربما كان حقّي الشرعي أن أصل إلى هذه المرحلة من الأسئلة، ومحطة لا بدّ منها حتى أراجع سجل أهدافي وأتأكد أن شغفي لم ينقص، بعد جولات قراع يومية أخوضها مع الحياة منذ نزاع الاستيقاظ باكراً إلى زحمة المرور ...الخ.

فدافعي في كل مرة أعود وأقف فيها هو مواصلة المشي وحتى الزحف، إن تطلّب الأمر، إلى مكان أتمنى أن أبلغه وحتى وإن لم أصل إلى النهاية، فيكفيني شرف المحاولة وشعور الحماس حتى ألقى الغد من جديد.

والحديث لا يقتصر على درجة التحصيل العلمي رغم أهميتها وكونها علامة فارقة في حياة الفرد، لما تتيحه له من المهارات والمعارف المتخصصة في مجاله، وخصوصاً إن كانت تتصل بشغفه وبعمله بعد التخرّج.

لكن هذا لا يعني أن الإنسان غير الجامعي لا يقرب الثقافة وكأنها حكراً على فئة معينة. لا، القراءة والمعارف المقطوفة التي تغني الفرد مهمة ومهمة جداً في مختلف المجالات ومهما كان العمر، فعجلة التطور والتجدد لم ولن تقف، وعلى كل شخص مواكبتها والمحاولة حتى يكون ضمن إطار المرحلة التي يعيش فيها، لاسيما في مجال المعرفة التكنولوجية مثلاً.. لا تكمن الفكرة فقط على بناء الذات أو تطوير المهارات والأساليب. ومن النقاط المهمة أننا حين نبني فرداً فإننا نغرس في صرح الوطن دعامة تقوي وجود هذا الوطن (المجتمع) وتدعمه في كل المجالات سواء كانت اقتصادية، ثقافية، طبية .... الخ.

في موضوع العلم بشكل عام والثقافة بشكل خاص، من المهم لفت النظر إلى منافعه على جميع الأصعدة، فالمعرفة، كعدسات النظارات الطبية تماماً، ستساعدنا على التعرّف على الأشياء بكل سهولة ولا حاجة إلى مساعدة قد تُضلّلنا.

لو لم يكن لهذا العلم بما يحمل من مفردات تُشير للمعرفة والاطلاع أهمية، لما استمرت البشرية في سعي دائم متواصل للكشف عن الأسرار وفهم الدائرة المحيطة بنا، والسعي لتشمل ما لم تصل إليه خيالاتنا البسيطة.

غزل حسين المصطفى

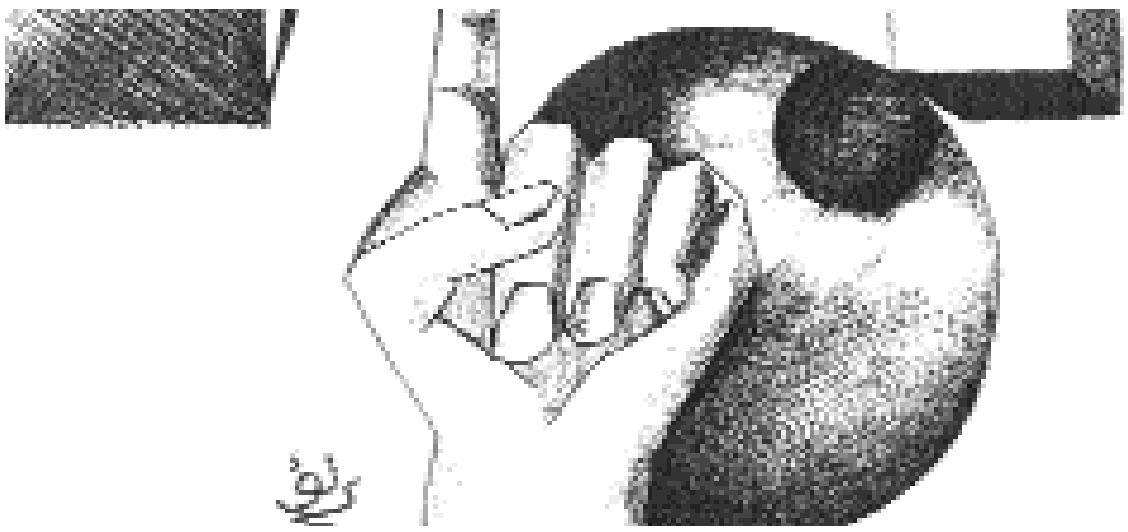

هل يكتمل تطورنا عند معرفة كاملة بشيء واحد بذاته

■ يظن كثيرون منّا أن مجرد نيل إجازة جامعية يتيح المعرفة الكاملة لعلم بذاته ويمكن أن يجعلنا ضمن قافلة التطور. وممّا لا شك فيه أن هذا مفهوم خاطئ، فالعلوم كافة تفاجئنا كل يوم بتقدم جديد مع التطور الناتج في كل دول العالم وخاصة المتحضرة منها، وبالتالي فمن الطبيعي أن نضطر لمواكبة هذا التطور كي نرتقي للأفضل ونستطيع التعامل مع التكنولوجيا من حولنا، ولعلّ أبسط مثال على هذا هو وسائل التواصل الاجتماعي وأدواتها، ومنها (الجوّال) الذي يظهر لنا كل فترة بجيل جديد أكثر تطوراً من سابقه، فندرك هنا أنه لا تقف المعرفة واكتساب العلوم عند شيء أو حدّ معين. فلا يمكن أن أطلق على نفسي كلمة مثقف لمجرد أنني أحمل شهادة تحصيل علمي(جامعية)، لأن الثقافة شيء والتحصيل العلمي شيء آخر، وبالتالي الثقافة ليست مجرد شهادة إنما هي معرفة وإلمام لو بقليل عن الكثير من العلوم والآداب. كذلك التمكّن من الإجابة عمّا يرد أمامنا من تساؤلات وإن لم تكن ضمن دراستنا، بينما التحصيل العلمي شهادة نحصل عليها توثّق إتمام تحصيلنا الأكاديمي ضمن مرحلة معينة.

ممّا لا شك فيه أنه من الضروري والحتمي أن نواكب العلم، ونعمل على تطوير ذواتنا، وإن كان لدينا رصيد ومخزون من العلوم فلا بدّ من تطويرها، لنتمكّن من متابعة السير ضمن قافلة التقدم والتطور والارتقاء بالذات والمجتمع. فمن قال إن العلم يقف عند معرفة معيّنة، وشهادة معيّنة، وعمر معيّن، وهوية معيّنة، وجنس معيّن؟! ولعلّ فكرة التعليم المفتوح في معظم دول العالم دليل قاطع على أن الإنسان يجب أن لا يتوقف عند عمر معين بتحصيل العلوم والمعارف، بل عليه أن يكون دائم التعطّش لمعرفة كل ما هو جديد، لذا ومن الطبيعي أن نستمر بالبحث الدؤوب عن كل ما هو جديد في ميادين العلم والمعرفة والتكنولوجيا، خاصة وأن التكنولوجيا باتت لغة العصر في زمن العولمة، كذلك لابدّ أن نستغل وسائل التواصل الاجتماعي لنكون من خلالها على اطلاع بكل ما هو جديد من حولنا وكأننا من قاطني هذه البلدان، فلا يمكن أن نتغيّب عن مجريات الأحداث حولنا مع تطور علمي أصبحنا من خلاله وكأننا في قرية صغيرة تجمعنا شاشة عبر الشابكة، وبالتالي لن تكتمل المعرفة بالكثير عن شيء واحد فقط، بل بالقليل عن كل شيء في حدّه الأدنى، لأن التطور يتطلّب الإلمام ولو بجزء قليل عن كل ما حولنا، لنتمكّن من مواكبة السير، ونكون من الركّاب المدركين الطريق الصحيح ضمن القافلة التي تسير بعالم نحو التقدم والتطور.

وعد حسون نصر

تطوير الذات.. بداية العظماء

■ تحت هذا العنوان، يجري تصنيف البشر إلى أشخاص عاديين وأشخاص غير عاديين، وذلك حسب المنهج الّذي ينتهجهُ الإنسانُ في حياته. وبما أننا قرنّا في البداية تطوير الذات بتوصيف العظمة، نكون في صلب السبيل للرقي والعلياء، ألا وهو (تطوير الذات).

لعلّ مَنْ أوجد التسمية يُدرك تماماً ثغرات النفس الإنسانية الجاعلة من الثغرة إما خطوة نحو القمة أو العكس تماماً. فما يُضعف المُقبل على الحياة بجُلّ تطوراتها، هو صعوبات أو تحديات تبدأ بالقلق، والقلق المرضي بالتحديد، علماً أنّ المقصود بالقلق ذاك الذي يحدّ من المواجهة، وبالتالي تتأزم دائرة المعارف والثقافة التي يجب على الإنسان إدراكها واحتوائها، وهذا ما سيُعيق عملية تطوير الذات قطعاً.

وثاني الأمور أهمية، هي الثقة بما قد امتلكناه، لكن علينا الانتباه بأن الثقة المعنون لها هي الموصلة أصحابها حدَّ الاكتفاء والكمال إلى حين قطع الرجاء من المستقبل، فضلاً عن أنّ ذلك يُنافي الطبيعة الوجودية، وغريزة النقص وحالة اللاإشباع الدائمة التي يمتاز بها الكون، وبذلك تكون الثقة اللامنطقية عدواً لدوداً لتطوير الذات.

ووصولاً إلى أشدّ الأمور فظاعةً، نجد سلوكيات الأفراد التابعين لما وجِد سابقاً وتذمرهم من كل ما يعترض البحث في عالم التفسير والتحليل، وهذا فكر ينافس تطوير الذات ويعمل على إضعافها في مجتمعات تسودها قيم ومفاهيم راسخة لا تتزعزع ولا تقبل التغيير، ومن المؤسف حقاً أنّ هذه السلوكيات بالتحديد تسببت بهلاك العديد من المفكرين والعظماء كـ(غاليلو) مثلا الذي سعى نحو تطوير الذات بالتمرد على تعاليم سابقة كان لها دورها في إيقاف مسار العلم والمعرفة عند حدٍّ معين لكن إلى حين.

فما هو الحدُّ المعين الذي تقف عنده البشرية، ويكون أكثر إسهاماً في إعاقة عملية تطوير الذات، ياتُرى!؟

إضاعة الوقت دون مبرر؟ أم إشغال النفس بتوافه غير مُجدية؟؟ أم الجدال مع الناس على غير فائدةٍ تُرجى!؟

إنها جميعها المسبب إن لم يكن أكثر، وأحياناً تكون الحالة الذاتية أهمها وأخطرها.

وبذلك نكون على شفا قول نابليون بونابرت :(لا يوجد أحد غيري مسؤول عن فشلي الأخير، لقد كانت نفسي أكبر عدوة لي).

وفي الواقع إنّ لمراجعة النفس وحسابها على أخطاء ارتكبتُها دوراً مهماً في تطوير الذات، والحقيقة الأكثر غرابةً أنّ العمل الفكري وحده لا يمكن أنّ يؤدي إلى الإرهاق، فإذا أخذت عيّنة من دم عامل يعمل بيده وأثناء ممارسة عمله، تجدها مليئة بآثار التعب وإفرازاته، لكنك إذا أخذت عيّنة من دم أينشتين مثلاً كمفكر يعمل بذهنه، فلن تجد بها أثراً لإرهاق.

إنّ تطوير الذات يتطلب جهداً لا يَملّ البحث والتفكير الإنتاجي السوي، وحين تبدأ بذاتك ستنهي هلاك نفسك ومن ثم هلاك مجتمعك.

غزل محمد عائشة

مـــا يمـــكث في الأرض

■ (العلم المستقر هو الجهل المستقر)_ النفري، المواقف والمخاطبات.

في (الويكيبيديا) تُعرّف الثقافة بأنها سلوك اجتماعي ومعيار موجود في المجتمعات البشرية. تُعتبر الثقافة مفهوماً مركزياً في الأنتربولوجيا، يشمل نطاق الظواهر التي تنتقل من خلال التعلّم الاجتماعي في المجتمعات البشرية.

والثقافة لغة كلمةٌ مُشتقةٌ من الجذر الثلاثيّ (ثَقَفَ)، فيقالُ: ثقفَ الرّماح بمعنى تسويتها وتقويم اعوجاجها، وأيضاً تُستخدمُ مع تثقيف العقل، ومن معانيها ما يفيدُ الحذق والفطنة والذّكاء، يُقال ثَقُفَ الشّيء أيّ عَرفهُ وحذقهُ ومهر فيه، والثّقيفُ هو الفطنُ، وثَقفَ الكلام أيّ فَهمَهُ بسرعةٍ، ويوصفُ الرّجل الذكيّ بأنّه ثَقف.

أما اصطلاحاً فالثقافة هي مجموعةٌ من العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها أفرادُ المجتمع، أو أنها المعارف والمعاني التي تفهمها جماعةٌ من النّاس، وتربطُ بينهم من خلال وجود نُظُم مُشتركة، وتساهمُ في المُحافظة على الأسُسِ الصّحيحة للقواعد الثقافيّة.

ومع الثورة الصناعية أصبح المفهوم أقرب إلى العلم الأكاديمي الشامل، ثم جاءت ثورة المعلومات لتزيد في ضبابية المفهوم، فالمثقف مهما ملك من أدوات العلم والمعرفة يصعب عليه متابعة ما تضخّه أقنية الثقافة بما هي مجموع نتاجات العقل البشري.

هكذا أصبحنا أمام واقع متحرك بسرعة مرعبة يصبح معه متابعة الجديد في حقول الثقافة ضرباً من المحال حتى ضمن الاختصاص الواحد، فضلاً عن المجالات المتشعبة والمتعددة لمفهوم الثقافة العام.

ومع هذا التطور العاصف أصبح مفهوم تطوير الذات محفوفاً بالصعوبات، لكنه بقي مهمة مطروحة على الإنسان العادي والإنسان المثقف بدرجة أكبر طبعاً.

وبدخول ملايين البشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلى ساحات النقاش العام، اختلط مفهوم المتعلم بمفهوم المثقف، وكادت الفروق تتلاشى بين محو الأمية اللغوية والأمية الثقافية أو الحضارية.

هكذا أصبح تطوير الذات شكلياً أكثر منه حفراً في العمق المعرفي والثقافي، وطغت السطحية على قراءات البشر بما أن القراءة هي الوسيلة الأولى والأهم لتطوير الذات، يُضاف إليها بدرجات أقلّ السفر والتجريب والاختلاط والثقافة الشفهية وغيرها، فأصبح (غوغل) مصدراً رئيسياً وسهلاً للمعلومات، ممّا أنتج كسلاً فكرياً ومعرفياً لدى أجيال كاملة إلاّ في استثناءات قليلة تؤكد القاعدة.

إن ما وصلت إليه البشرية من قمم عالية في العلم والتقنية هو نتاج وعي علمي وثقافي عال ناتج عن تطوير الذات لدى نخب فكرية وثقافية بما لا يحدّه حدود ولا يتوقف عند سقف معين، وذلك بالاستمرار في طرح الأسئلة واستنباط الإجابات أو الفرضيات، ممّا يحرض العقل الجماعي والفردي على المزيد من التنقيب والبحث.

فهل يصبح ما أنتجه العقل البشري بعد قرون من البحث والاجتهاد هو نفسه ما سيكبح جماح العقل، ويمنعه من المضي في مغامرته الرائعة؟

أم أن العقل البشري سيجد طرقاً جديدة لتجاوز المألوف واكتشاف عوالم جديدة متغلباً على الكسل المعرفي الذي أنتجته العولمة الفكرية والثقافية وتراجع دور الكتاب إلى الصفوف الخلفية من الاهتمام؟

أميل إلى الاحتمال الأخير، لأن من طبيعة العقل أن يهقر كل القوى التي تحاول إيقافه عن المغامرة والاكتشاف، وهو ما تؤكده إنجازات العقل البشري في حقول العلم والثقافة نتيجة عملية التطوير الذاتي المستمرة للأفراد والجماعات.

هكذا تبقى حيوية العقل أقوى من كل معوقات التفكير الحرّ والبناء.

هكذا تستمر مسيرة التاريخ البشري إلى الأمام دائماً.

حسين خليفة

لا يمكن الاستحمام بماء النَّهر مرَّتين

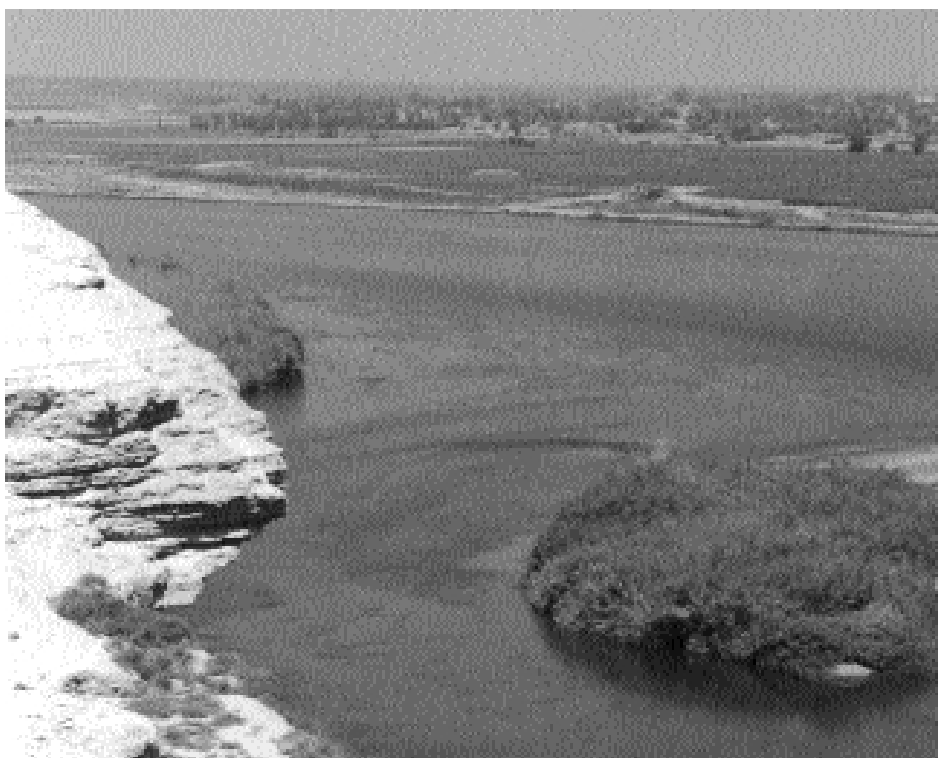

■ دأب الإنسان على بذل الجهد والعمل على تطوير أدواته وآلياته بدايةً كوسيلة من وسائل الحفاظ على البقاء، ومع مرور الزّمن وتعدُّد أسئلته الوجودية بات يتطلّع نحو المزيد من المعرفة واكتساب الخبرات، ما ساهم في تطور البشرية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في أيامنا هذه.

إلاّ أن هذه الرَّغبة غير متوافرة عند الجميع. وباعتقادي هذا أمر طبيعي لتحقق الحياة بعضاً من توازنها، فنسبةٌ لا بأس بها من الأشخاص يكتفون بما وصلوا إليه، سواء من ناحية التَّعليم أو فرص العمل أو من مكاسب الحياة الأخرى، ويمضون بقية حياتهم بنمط واحد وخطٍّ بياني لا تغيير فيه حتى آخرَ العمرِ، وهم مقتنعون ويشعرون بالرِّضا عمّا حققوه، ولا تشغل بالهم أية فكرة عن التَّطوير أو التَّغيير. بالمقابل نجد آخرين يعيشون حالةً من عدم الاكتفاء بمعارفهم، على مختلف أشكالها وأنواعها العلمية أو الثقافية أو المهنية ...الخ، خطوطهم البيانية في حالة تواتر دائم، هؤلاء من بفضلهم حصل التَّطور على مستوى البشرية جمعاء، ولولاهم لما تمكَّنّا من الحصول والوصول إلى الكثير من القضايا أو الأمور التي ساهمت بخلق فكرٍ لا يعرف الخضوع أو الاستكانة، وبالتالي ساعدت بني البشر على النّهوض والوصول إلى الفضاء الرَّحب في كل المجالات، ولا يزال السَّعي مستمراً، بل وسيبقى ببقاء الإنسانية والعقل البشري.

ربما تكون الحياة التي نعيشها تتناسب وتطلّعاتنا ورغباتنا، وعلى هذا نرى أننا لسنا بحاجة إلى تغيير شيء ما أبداً، إنما الحياة تفرضُ علينا في كلّ يوم أمراً جديداً، وكأنها تحثُّنا على التَّجديدِ المتواصل، لاسيما حينما يتعلّق الأمر بالمعرفة والعلم واكتساب المزيد من الأفكار والمعلومات والارتقاء بالشَّخصية للوصول إلى حدّ الكمال، هدف بني البشر المنشود منذ بدء الخليقة.

لم تكن مقولة (لا يمكن الاستحمام بماء النَّهر مرتين) مجرَّد قول يذكره التَّاريخ، إنها عبارةٌ تُجسِّد أن الحياة لا تتوقف عند حدٍّ معينٍ بأدق تفاصيلها التي لا يمكن أن تتكرَّر مهما اعتقدنا ذلك، ومحاولةٌ لدفع العقل إلى العمل المستمر للاستفسار والبحث والتَّمحيص، ثم استخلاص النَّتيجة، سواء توافقت مع أفكارنا أم لا، ذلك أن كل يوم فيه ما فيه من الجديد، وما كان مجهولاً باتَ معلوماً، وما كان مرفوضاً أمسى مقبولاً وربما العكس تماماً، ولهذا فإن أردنا لمجتمعنا بكل مكوناته أفراداً وأسراً ومجتمعاً كاملاً النُّموَّ والبقاء على قيد الحياة، فما علينا إلاّ بذل بعض الجهد واكتساب المعرفة التي ستمكننا من أن نكون أشخاصاً فاعلين ومجتمعات حيّة كغيرنا من المجتمعات التي تعملُ على فتح مجالات عدة لتنوير العقول وتقدير عملية البناء والتَّطوير التي انعكست عليها حتماً ولا تزال بنتائج إيجابية جعلتها مثالاً يُحتذى.

إيناس ونوس

● اغلق تحرير العدد مساء الاثنين ٢٠١٨/٦/١١

بين نقد الرأسمالية واستبدالها

■ أن تنقد الرأسمالية لا يعني أن تجترح (بديلاً) لها، بل هو يفرض –قبل أيّ شيء –أن تفهم الرأسماليّة (كما هي)، أو بتحديد أكثر (لأن هناك إمكانيّات مختلفة للتنظير للرأسمالية وتعرّيفها وتأريخها) أن لا تفهمها على نحو (خاطئ) وأسطوريّ، أي على أنّها نظامٌ (طبيعيٌ) منزل، أوّ تطوّرٌ حصل بشكل (عضوي) يماشي الفطرة البشريّة، أو أنّ هناك شيئاً متعالياً اسمه (السّوق)، حياديٌ وله منطقه الحسابيّ الخاصّ، ومنفصلٌ عن السياسة والمجتمع.

بل إنّ المشكلة تبدأ حين تعتبر أنّ هناك (بالمعنى العمليّ الواقعي، لا في النّظرية والفلسفة) كلّاً واحداً متشابهاً ومثالياً اسمه (الرأسماليّة)، تكون معه أو ضدّه؛ وأنّ هناك خياراً، كالباب الدّوّار، بين أن تخرج منه وتدخل إليه. كلّ الأنظمة الاقتصادية في القرن العشرين، بما فيها الاتحاد السوفياتي والصّين، يمكن النّظر اليها كاقتصاديّات رأسماليّة في الجوهر، وإن اختلفت نمط الملكية فيها وتوزّع الدّخل، وهي عملت بحسب القواعد السوقيّة وأنماط التشغيل ذاتها التي تحكم أيّ اقتصاد صناعيّ. في الوقت نفسه، فإنّ الرأسماليّات على المستوى الوطني لا تتشابه حتّى ننظر الى الرأسماليّة كنظام واحد ونُطلق الأحكام بالتعميم. الرأسمالية في أمريكا تختلف عن الرأسمالية في السّويد (حيث تتحكّم الدّولة بأكثر من نصف الدخل الوطني)، لأنّها تشكّلت في ظروف تاريخيّة مختلفة ولها أدوارٌ مختلفة على الصعيد العالميّ وقد أنتج التفاوض بين العمّال والرأسمال فيها طريقاً تاريخياً خاصّاً لكلّ بلد.

هنا بيت القصيد، وهو فهم الطبيعة التاريخيّة والعارضة للنّظام الرأسمالي الذي تعيش في كنفه (وإن لم تتّفق مع ماركس أو فيبر أو غيرهما على خصائصه البنيويّة)، وأنّ النّظام الاقتصادي/ السياسي الذي يحكمك –بشكله الحالي –ليس ضرورياً ولا طبيعياً ولا محتّماً، ولا هو (وصفة) واحدة معروفة لها مفاعيل متشابهة في كلّ مكان. حين تفهم الرأسمالية كتكوين تاريخيّ، وتفكّكك مؤسساتها –على المستوى العالمي وفي بلدك –وتكشف كيف ولماذا أصبحت موجودة، هنا يبدأ (الخيار) الفعلي، قبل أن نصل إلى (البديل). حين نرى النظام من حولنا كنتيجة لمصالح ومسارات وصراعات سياسيّة، يصبح قبوله كما هو والدّفاع عنه خياراً، وأن نعدّله ونغيّره خياراً، وأن تقترح نظاماً مختلفاً بشكل جذريّ هو أيضاً خيار. بمعنى أوسع، السؤال ديمقراطيٌ فيّ العمق: هل يكون بناء هذه المؤسسات (الرأسمالية) وتقرير نمط المعاش في يد طبقاتٍ شعبيّة وأكثريّة، تمثّل مصالحها وإرادتها، أم يبقى في يد القوى المحلية والدوليّة التي حدّدت هذه الخيارات عنك وأهدتك (رأسماليتك المحليّة). وهناك، أيضاً، خيارٌ في أن نتجاهل الموضوع بالكامل ونتركه للخبراء، ونعتبر أن الرأسماليّة هي (حزمة) تأخذها أو ترفضها، أو (قدرٌ)، لا طائل من نقده والشكوى منه (الطّريف أنّه ما زال هناك من يردّ على من ينتقد الرأسماليّة بأن يقدّم (نظاماً بديلاً) أو يصمت، كأنّك تحتاج لأن تكون هيغل حتّى تفهم أنّك بائس. هذه المعادلات الثنائيّة، على طريقة كليشيه (الديمقراطيّة أسوأ الأنظمة باستثناء كلّ الباقين)، هي من النّوع الذي لا يعلّمنا شيئاً، بل يهدف فحسب إلى تشريع الموجود عبر النّظاهر بنقده).

اصطناع الرأسمالية

المفهوم المثالي و(الصّافي) عن الرأسماليّة والسّوق، الذي تمتدّ جذوره من بنتهام وريكاردو وصولاً إلى الاقتصاديين النيوليبراليّين المعاصرين، من السّهل نقده من النّاحية النظرية والتاريخيّة، لكن هذا لا يؤثّر على هيمنته على النّخب والمؤسسات الحاكمة في العالم. حتّى المؤيّدون (الأصوليون) لفريدريك فون هايك –المنظّر الأشهر لحريّة السّوق –يعتبرون أنّ النّسخة النيوليبرالية السائدة اليوم عن الاقتصاد سطحيّة، اختزاليّة، وأنّ النّظرة إلى السّوق كوعاء فارغ أو كمحض أداة ليست وفيّة لأفكار فون هايك (هايك كان يعتبر أنّ الحريّة الاقتصاديّة ضروريّة تحديداً لأنّ السّوق مندمجٌ في المجتمع، وليس فضاءً منعزلاً، وهو يشكّل عقدة النشاط الإنساني، فيجب أن لا يُترك لتنظيم الدّولة وعسفها). أصوليّو المدرسة النمساويّة يعتبرون ايضاً أنّ الأسواق (الحرّة) القائمة في الغرب اليوم لا علاقة لها بمثال فون هايك عن الحريّة، بل هي مؤسسات تتدخّل الدّولة فيها بشكل كبير، كما رأينا خلال الأزمة المالية الأخيرة، وتوجّهها السّياسات العليا والمصارف المركزية (انظر، مثلاً، دراسة أندريا ميغون في The Review of Austrian Economics, عدد ٢٤، سنة ٢٠١١).

الفكرة هنا لا تقتصر على المعادلة الشهيرة التي أرساها الباحث دوغلاس نورث، حين درس المؤسسات الاقتصادية فاستخلص أن (الأسواق الأكثر حرّيّة هي تلك الأكثر تنظيماً وقوننة). المعنى هنا هو أنّ ما يجعل السّوق (حرّاً) ومفتوحاً في بلد مثل أمريكا، وفي وسعك أن تفتح حساباً في دقائق، أو تشتري وتبيع بسهولة واطمئنان، والمعاملات التجارية والعقود تجري بسلاسة ويسر، ما يسمح بكلّ ذلك هو شبكة كثيفة من المؤسسات والقوانين والأجهزة الرقابية، بُنيت وتراكمت على مدى عقود، وتسمح بإدارة هذه اللعبة وضمانها، وتقرير بروتوكولات التبادل، وتردع المخالفين، الخ وهذه الخلاصة لها أكثر من انعكاس على تخطيط السياسات والاقتصاد، فهي تعني، من ناحية، أنّه لا يمكن لأيّ بلدٍ فقير لا يملك سوقاً وطنيّة منظّمة أن يحصل على (سوقٍ حرّ) بمجرّد ترك الأمور على غاربها، و–من ناحية أخرى –أنّه لا يكفي أن تلغي التنظيمات والقوانين الموجودة وتشطبها –على طريقة (علاج الصّدمة)–حتى تنبثق، بشكل عضويّ وتلقائي، آليات سوقٍ حرٍّ وتنافسيّ تستبدلها (أو هو ما اكتشفته، بكلفة هائلة، دول أوربا الشرقية وبلاد الجنوب التي اندفعت في مشاريع (تحرير الاقتصاد).

المسألة أعمق من ذلك، وقد عبّر عنها المفكّر كارل بولاني حين تابع نشوء الرأسمالية في بلد كبريطانيا على مدى قرون، ووجد أنّ مشكلة النظرية الليبرالية لا تقتصر على طريقة إدارتها لـ(السّوق)، بل في أنّ منطقها السوقي، الحسابيّ، يتسلّل إلى كلّ مناحي الحياة والمجتمع. أمورٌ مثل الأرض والعملة والعمل، يكتب بولاني، لم تكن تاريخياً (سلعاً)، تخضع لحسابات العرض والطّلب والربح والخسارة، بل كانت دوماً مؤسّسات (مندمجة) في المجتمع، الذي يحدّد ملكيّتها وحصانتها وكيفية التصرّف بها؛ فتحوّلت هذه العناصر، التي كانت أساسيّة في تعريف الحياة والفرد، إلى سلعٍ منسلخة عن المجتمع، تُعامل كالمنتوجات التي يصنعها الإنسانُ ويبيعها في السّوق. المنطق الاقتصادوي هذا يتوسّع مع كلّ موجة ليبرالية جديدة إلى أركانٍ جديدة في الحياة، فيتمّ تعديلٌ نظام ترقية الباحثين في بريطانياً والعديد من دول الغرب، مثلاً، ليطابق قواعد (سوقية) وتنافسية، وتحاول الحكومة الأمريكية (إصلاح) نظامها التعليمي عبر إدخال آليات السّوق إليه. ويقرّر معيار الرّبح والخسارة ورغبة القطاع الخاصّ، في عصر انحسار الملكية العامّة، ما إن كان مشروعٌ ما يستحقّ أن يُبنى أو لا يستحقّ. في هذا السّياق النيوليبرالي، من الطبيعي أن تصبح العلاقات الإنسانيّة أيضاً، ومعايير الاحترام والحبّ والزّواج، مرتبطةً بالمنطق الحسابيّ ذاته. تسليع أسس المجتمع، يقول بولاني، وإخضاعها لمنطق حسابيّ نظريٌ مثاليّ، يدمّر، لو استبدّ، التراث والدّين والأخلاق وكلّ ما يربط النّاس ببيئتهم. المفارقة هنا هي أنّ العديد من المثقّفين ينظرون إلى أيّ مشروع اشتراكيّ (سابق أو حاليّ أو افتراضي) يتحدّى الشكل القائم للرأسمالية على أنّه مشروعٌ نظريّ، مثاليّ، يخالف الطبيعة ويبغي إعادة تشكيلها؛ ولكنّهم يعتبرون في الوقت ذاته أن الرأسماليّة الليبراليّة (التي تمثّل تطبيقات ل(نموذج) مثاليّ وضعته نخبٌ غربيّة، وهي تهندس الاجتماع البشريّ منذ أكثر من قرنين ليتوافق المجتمع مع نظريّتها)، هي أمرٌ (طبيعيٌ) لا يستدعي المساءلة أو التعديل –وهنا، تحديداً، المعنى الأعمق للهيمنة.

البديل القادم

اشتراكيّة المستقبل، أو (البديل الجديد)، لن يُبنى وفق مخطّط معدٍّ سلفاً، ولن يكون تكراراً لتجارب الماضي. إنّ أسوأ أمثولة يمكن استخلاصها من ثورة أكتوبر، ومن التجربة السّوفياتيّة، هو أن تعتمدها ك(خارطة طريق) للنظام الذي سيتحدّى الهيمنة الليبراليّة في المستقبل، وهذا يعود لسببين. أوّلاً، لأنّ التجربة السوفياتيّة وشكل الاشتراكية فيها كانا نتاج سياقٍ تاريخي وجغرافي خاصّ، لن يتكرّر كما هو. يُجمع المؤرّخون، مثلاً، على أنّ لينين وستالين، لو كان لهما الخيار وكانت روسيا معزولة بالكامل عن النظام العالمي، لاختارا طريقاً مختلفاً الى الاشتراكيّة بعد الثورة: كان البلاشفة يفضّلون –في ظروف مثاليّة –انتقالاً أكثر بطئاً وسلاسة، من دون الحاجة إلى التصادم مع المزارعين أو حشد المجتمع للتصنيع والنّموّ بشكل محموم. وكانت روسيا السوفياتية ستتبع، على الأرجح، نمط تنمية ريفيّ (شبه برجوازي)، مع انتخابات تستوعب تيارات مختلفة، وإلغاء تدريجي ومدروسٌ للملكية الخاصّة. ولكنّ الشيوعيين الأوائل وجدوا أنفسهم في بلدٍ ريفيّ طرفيّ، تحاصره الدول الكبرى بالعداء، ويتوقّع حرباً (جديدة) عليه خلال عقد أو أقلّ، فلا مناص من التّصنيع الثقيل وإدارة الدّولة للإنتاج حتّى تصبح نداً للقوة الأوربيّة –وحلّ (المسألة الزراعية) بأسرع ما يمكن، ولو بالعنف و(التّجميع) (وقد حدّدت هذه الخيارات، للعقود القادمة، شكل الدّولة السوفياتية ونقاط قوتها وضعفها).

من جهة أخرى، فإنّ البلاشفة أنفسهم لم يكونوا يملكون خطّة اقتصاديّة (اشتراكية) مثقفاً عليها، وقد رسمها لهم ماركس. المجتمع الشيوعي هو فكرة (نهائية) مثاليّة، لا يوجد توافق حول الطّريق إليه أو حتّى على شكله –حين يتحقّق –بالمعنى العمليّ. كما أنّ مشكلة تحويل (السّعي إلى الاشتراكية) إلى برنامج وسياسات لم يواجهها أحدٌ في أوربا بشكل جدّيّ حتّى وصل السّوفيات إلى الحكم. لهذه الأسباب، كان لينين وستالين يرتجلان بحسب السّياق، ويقرّان سياسات (تجريبيّة) لم يعرفها التاريخ من قبل. من جهةٍ أخرى، لم ينظر الزّعيمان السوفياتيان إلى الماضي بحثاً عن سوابق لاتّباعها، بل آمنا بشكل كبير بقدرة الحداثة والجديد، والتكنولوجيا والتنظيم، على تذليل العوائق المادّيّة. حين بنى ستالين مصاهر الفولاذ في ماغنيتوفورسك، في قلب الأورال، فهو اختار أحدث التصاميم في العالم وأضخمها، كما يوثّق ستيفن كوتكن في كتابه عن المشروع، وصمّم مدناً كاملة على أسس (عَقلانيّة) و(علميّة)، كانت تمثّل آخر صيحة في عصره. اعتُنقت المؤسسات الصناعيّة ايّام ستالين أحدث وسائل التّنظيم، وكانت الصّحف والمجلّات (سواء المتخصّصة منها أو الموجّهة إلى العمّال) تناقش بشكل مستمرّ النظريات التايلورية والفوردية التي تخرج فيّ الغرب، وتقنيّات زيادة الإنتاجية على خطوط التصنيع. وقد نشأت حينها، بحسب كوتكن، (مذاهب) ومدارس متعدّدة، على طريقة برامج (التنمية البشرية) اليوم، تزعم أنّها طوّرت سبلاً جديدة لرفع فعاليّة العامل وتثوير إنتاج المصنع، وتمزج، مثلاً، التايلورية بالفلسفة وباليوغا.

لو أردنا إسقاط هذه التجربة على الواقع الحالي والتفكير في (اشتراكية المستقبل)، فهذا لا يعني أن نستنسخ التجربة الحمراء وأحزابها، ومعامل الفولاذ وتي–٥٥، بل هي تشبه –في سياق اليوم –أن نستخدم التقنيات الحديثة في التنظيم وربط النّاس، وأن نستفيد من العولمة وهامشها، وأن تكون هناك نقاشاتٌ مستمرّة حامية بين الناشطين العرب حول قضايا مثل الطّاقة الشمسيّة وتنظيم الاقتصاد والمسألة الزراعيّة؛ وعن الاحتمالات الجديدة للإدارة والحياة التي تفتحها التكنولوجيا الجديدة، الخ الأساس هو أنّك تتعلّم من الماضي ولا تكرّره، ولا أحد يعرف متى تكون (اللحظة الثورية) ومتى يخرج (النّظام البديل)، ولا كبير فائدة من الانشغال في تصميمه مسبقاً؛ وأنت –كما في الماضي –لن تحتاج إلى تصميم (نظام بديل) حتّى يقتنع النّاس بضرورة الخروج على النّظام القائم، فالرأسماليّة المهيمنة ستقوم بهذه المهمّة عنك. ولكنّ السؤال الابتدائي، الذي يجعل كلّ هذه الاحتمالات ممكنة، هو نظرتك إلى الحياة وإلى الأمل؛ وهل أنت تعتبر نظام العالم ناقصاً وظالماً، وهو قابلٌ دوماً للتحسين، أم أنّك لا تراه إلّا ميداناً للصراع والغلبة، أو سلّماً تتسلّق عليه؟ وقبل ذلك كلّه، هل أنت مؤمنٌ بأنّ قدرك وعالمك هو في يدك، أنت تقدر على تشكيله بالإرادة والعمل، أم أنّك تترك تقرير هذه المسائل لغيرك وتنهمك في ما هو (أهمّ)–كالصراع بين الطوائف؟

عامر محسن
(الأخبار)

● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات

وفاءً لتضحيات شعبنا وجيشنا

تتمة المنشور ص ١

ويجمع، وهو كثير.

ونقول بصراحة هنا: إن تشجيع حملات الشباب التطوعية لمساعدة جرحى مقاومة الغزو الإرهابي، وتحفيز مبادرات تهدف إلى إزالة أنقاض ما دمرته الأيدي الإرهابية المجرمة، هي المطلوبة اليوم، أكثر بكثير من مبادرات تشجيع التجمعات الدينية والطائفية.

احذروا التطرف بجميع أشكاله، فهو يخفي خطراً ناضل السوريون جميعاً للجم تداعياته، بعد أن دفعوا، في مواجهة جموحه، ثمناً غالياً، أكثر من مرة.

قادة دول منظمة شنغهاي

تتمة المنشور ص ١

وأشار البيان إلى فعالية اجتماعات أستانا حول الأزمة في سورية، منوهاً بنتائج مؤتمر الحوار الوطني السوري السوري الذي عقد في مدينة سوتشي الروسية أواخر كانون الثاني الماضي، باعتباره مساهمة مهمة في تعزيز عملية التوصل إلى حل سياسي للأزمة في سورية.

ودعا قادة الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون، في بيانهم، إلى الالتزام بالمذكرة الخاصة بإنشاء مناطق تخفيف التوتر في سورية، التي لا تشمل التنظيمات الإرهابية، كما عبروا عن دعمهم لمحادثات جنيف حول الأزمة في سورية.

من جهة أخرى شدد البيان على دعم الدول الأعضاء في المنظمة للتوصل إلى تسوية للأوضاع في شبه الجزيرة الكورية، مشيراً إلى أهمية الاتصالات التي تجري بين جمهورية كوريا الديمقراطية والولايات المتحدة من جهة، وبين الكوريتين من جهة أخرى.

يذكر أن منظمة شنغهاي للتعاون هي منظمة دولية تم تأسيسها عام ٢٠٠١ كرابطة متعددة الأطراف، لضمان الأمن والحفاظ على الاستقرار عبر أنحاء أوربا وآسيا، وتوحيد الجهود للتصدي للتحديات والتهديدات الناشئة، وتعزيز التجارة فضلاً عن التعاون الثقافي والإنساني.

ووقعت ٦ دول هي كازاخستان وقرغيزستان والصين وروسيا وطاجيكستان وأوزبكستان في حزيران من عام ٢٠٠١ بيان تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون، وفي حزيران من العام الماضي قُبلت عضوية كل من الهند وباكستان في المنظمة.

وإضافة إلى الدول الأعضاء الثماني حالياً، تشارك في عمل المنظمة أربع دول بصفة مراقب هي أفغانستان وبيلاروس وإيران ومنغوليا.

السيد نصر الله: سورية انتصرت

تتمة المنشور ص ١

بالقدس عاصمة للاحتلال هناك ثلاثة تحديات: أولها ألا تعترف دول العالم بهذا الأمر، والثاني هو إحباط المخططات الصهيونية لتغيير هوية القدس السكانية ومحاولات الضغط على المقدسيين لمغادرتها، والتحدي الثالث مسألة المقدسات وبالأخص المسجد الأقصى.

وبين السيد نصر الله أن التحدي الخطير الذي يواجه القضية الفلسطينية اليوم هو إقرار النظام السعودي بـ (حق إسرائيل) في القدس ضمن ما تسمى (صفقة القرن) التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية على حساب حقوق الشعب الفلسطيني، مشيراً إلى أن هناك أموالاً خليجية طائلة تدفع اليوم لشراء بيوت الفلسطينيين في القدس المحتلة، ليتم لاحقاً بيعها للصهاينة.

ولفت السيد نصر الله إلى أن المقدسيين اليوم ونيابة عن العالم الإسلامي يقفون ليحرسوا الحرم القدسي والمسجد الأقصى، ويقع على عاتقهم العبء الأكبر في هذه المعركة من خلال بقائهم في المدينة وحفاظهم على مساكنهم، وهي المعركة الحقيقية التي قاموا بها منذ عام ١٩٦٧ حتى اليوم.

وختم السيد نصر الله كلمته بالتأكيد أن القدس ستعود لأهلها، وأن فلسطين ستتحرر ولن تجدي مغالطات رئيس حكومة الاحتلال نفعاً، قائلاً: (إذا أصررتم على الاحتلال فإن يوم الحرب الكبرى قادم، وهو اليوم الذي سنصلي فيه جميعاً في القدس).

الرئيس الأسد في مقابلة مع صحيفة «ميل أون صنداي»

تتمة المنشور ص ١

بدمار هائل ناهيك عن عدد الأرامل والإعاقات، وحسب هذا المفهوم، فإنه يحق لأي حكومة، وفقاً لمنطق ماي، مهاجمة بريطانيا أو الولايات المتحدة، إذا ارتأت هذه الحكومة أن ذلك مبرر وقانوني ويجيزه القانون الدولي لتخفيف المعاناة الإنسانية، هذا أولاً.

ثانياً_ لقد كذبوا، وبعد كل الادعاءات التي ساقوها لم يقدموا لشعوبهم، لرأيهم العام نفسه –الرأي العام البريطاني– لم يقدموا له الأدلة، لأنه بعد تحرير الغوطة حيث يفترض أن الهجوم قد حدث، كما زعموا، زار المنطقة العديد من الصحفيين الأجانب وبعضهم ضد الحكومة السورية، وسألوا الناس عن الهجوم الكيميائي، فقالوا لهم: (لم نر أي هجوم كيميائي، ذلك لم يحدث).

وبالتالي فإن تلك كانت كذبة، وبعد أن حررنا تلك المنطقة أكدت المعلومات التي وصلنا إليها أن ذلك الهجوم لم يقع، إذاً أعتقد أنه ينبغي على الحكومة البريطانية أن تثبت أن الهجوم قد وقع أولاً، ومن ثم عليهم أن يثبتوا من قام به، وذلك لم يحدث، لم يكن هناك أي هجوم، هنا تبدأ الكذبة، مرة أخرى الأمر لم يكن يتعلق بالهجوم، جوهر المسألة أنهم كانوا يشعرون بالحاجة إلى تقويض الحكومة السورية، كما أرادوا تغيير وإسقاط الحكومة السورية في بداية الحرب على سورية، لكنهم مستمرون في فشلهم ومستمرون في إطلاق الأكاذيب ويحاولون شن حرب استنزاف على حكومتنا.

هناك مقاتلون من سائر أنحاء العالم يساعدون الجهاديين، لا أعتقد أن لدينا مقاتلين بريطانيين على قيد الحياة، معظم أولئك المقاتلين قتلوا، أساساً هم أتوا إلى هنا ليموتوا ويذهبوا إلى الجنة، تلك هي عقيدتهم.

الفرق كبير، فالروس أتوا بدعوة من الحكومة السورية، ووجودهم في سورية وجود شرعي، والأمر نفسه ينطبق على الإيرانيين، في حين أن الوجود الأمريكي والبريطاني غير شرعي بل هو غزو، إنهم ينتهكون سيادة بلد ذي سيادة هو سورية، وبالتالي فإن وجودهم غير قانوني، إنه وجود غير شرعي. الأمر لا يتعلق بماي وترامب، بل بالسياسيين الغربيين والأنظمة الغربية عموماً، إنهم لا يقبلون أي شخص له رأي مختلف، لا يقبلون أي بلد أو حكومة أو شخصية لها رأي مختلف، هذا هو الحال مع سورية، سورية دولة مستقلة جداً في مواقفها السياسية، ونحن نعمل من أجل مصالحنا الوطنية ولسنا دمية في يد أحد، هم لا يقبلون بهذا الواقع.

فيما يتعلق بـ (داعش)، نحن الطرف الرئيسي الذي يقاتل وقاتل (داعش) بدعم من الروس والإيرانيين على مدى الأعوام الماضية، ما من طرف آخر يفعل الشيء نفسه، ولو جزئياً، إذا أردت التحدث عن الغرب والتحالف العسكري الغربي الذي يقوده الأمريكيون فإنه كان في الواقع يدعم (داعش)، لأنهم يهاجمون الجيش السوري كلما هاجم (داعش) أو هوجم من قبله، وقد وقع الحادث الأخير منذ أيام عندما هاجم (داعش) الجيش السوري وهزمناه بالطبع، وحينها هاجم الأمريكيون قواتنا في الجزء الشرقي من سورية.

ليست هناك حرب جيدة أو حرب سلمية، ولهذا السبب فالحرب سيئة، إذاً عندما تتحدثين عن الحرب فإن النتيجة الطبيعية والبديهية هي أن يكون هناك موت ودماء في كل مكان، لكن السؤال هو، من بدأ هذه الحرب ومن دعمها؟ إنه الغرب، الغرب هو من دعم الحرب منذ البداية، ودعم الإرهابيين الذين بدؤوا بالتفجير والقتل وقطع الرؤوس في كل مكان، الغرب هو من دعم القاعدة، وبالتالي لا يكفي القول إن هناك قتلى، بالطبع هناك، هذا بديهي، لكن من بدأ ذلك؟ الغرب هو المسؤول الأول.

منذ بداية الحرب والأمريكيون وحلفاؤهم لم يتوقفوا عن تهديد سورية في مناسبات مختلفة، ولم يتوقفوا عن دعم الإرهابيين، كما لم يتوقفوا عن مهاجمتنا بشكل مباشر في مناسبات مختلفة، لكننا رغم ذلك تقدمنا في مواجهة الإرهابيين، وقلنا بأننا سنحرر كل شبر من سورية بصرف النظر عن أي تصريح أو أي هجوم، هذه أرضنا وهذا واجبنا، هذا ليس رأياً سياسياً، بل هو واجب وطني، سنتقدم في ذلك الاتجاه بصرف النظر عن أي موقف عسكري أو سياسي لخصومنا.

الأمر لا يتعلق فقط بالجيش السوري والإرهابيين ولا بالأحداث التي تقع داخل حدود بلادنا، والا كنت سأعطيك تاريخاً محدداً ربما، أنا أقول دائما أن تسوية هذا الصراع ستستغرق أقل من سنة، فهو ليس معقداً جداً، لكن ما جعله معقداً هو التدخل الخارجي، فكلما تقدمنا تلقى الإرهابيون دعما أكبر من الغرب، على سبيل المثال، كنا على وشك التوصل إلى مصالحة في جنوب سورية قبل أسبوعين فقط، لكن الغرب تدخل وطلب إلى الإرهابيين عدم المضي في هذا المسار كي يطيل أمد الصراع في سورية، لذلك نعتقد بأننا كلما حققنا المزيد من التقدم سياسياً وعسكرياً حاول الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا إطالة أمد الصراع وجعل الحل أبعد عن متناول السوريين، لكن الحرب السياسية والاقتصادية بين أمريكا وأوربا بعد الإجراء الاستفزازي الأحمق الذي قامت به أمريكا وألغت به الاتفاق النووي (٥+١)، مخالفة بذلك أبسط القوانين العالمية ومبادئ الأمم المتحدة. لقد اتخذت إيران موقفاً صلباً إزاء هذا الخرق، ودعمتها روسيا والصين والكثير من الدول.

إن الأوضاع تتخذ منحىً خطيراً، وقد تتطور صوب حرب إقليمية، ويجب أن تتجه الأبصار نحو النوايا العدوانية لأمريكا والضغط عليها من قبل كل الشعوب والدول المسالمة لتجنيب العالم أي كارثة محتملة.

وقد لجأت أمريكا مؤخراً لاستعمال سلاح جديد - قديم، وهو العقوبات الاقتصادية والمالية ضد الدول والقوى التي ترفض الانصياع لإملاءاتها، مثل روسيا– الصين– سورية– فنزويلا– كوبا- حزب الله في لبنان ، وازدياد هذه العقوبات يدل بوضوح على انعدام أي نزعة إنسانية لدى الإمبرياليين الأمريكان، واتباع أسلوب (الزعرنة) والإجرام في سياستهم الدولية.

وتشهد منطقة الشرق الأوسط حرباً مستعرة منذ أكثر من ٣ سنوات بين اليمن من جهة والسعودية وحلفائها وأسيادها من جهة أخرى، وقد شهدت هذه الحرب جرائم ومآسي مروعة ننتج عنها حتى الآن عشرات الألوف من القتلى والجرحى، وماتزال هذه الحرب مستعرة حتى الآن، ولا يوجد أي بصيص ضوء يشير إلى قرب نهايتها.

إن الوضع الإقليمي هو وضع مضطرب إلى حد الانفجار، ويتجلى ذلك الآن بالتطورات العاصفة في القضية الفلسطينية، فالانتفاضة الشعبية الفلسطينية تتواصل وتتصاعد، ويُظهر المقاومون الفلسطينيون أعلى درجة من درجات البطولة، إنها لمأثرة عظيمية تسجل في التاريخ أن يزحف مئات الألوف من الفلسطينيين بصدورهم العارية ويقتحموا أجزاء من الحدود المصطنعة بين غزة والأراضي المحتلة من فلسطين. هذه الانتفاضة اشتدت قوة الآن إثر العمل العدواني الإسرائيلي الأميركي بنقل مقر السفارة الأميركية إلى القدس، وبالإجراءات الحثيثة التي تقوم بها إدارة (ترامب) لإبرام صفقة القرن بين الفلسطينيين والإسرائيليين، لتصفية القضية الفلسطينية وتوطين اللاجئين حيثما يعيشون الآن، مقابل (رشوة) مالية تدفعها لهم السعودية. إن هذه المؤامرة الجديدة - القديمة على فلسطين تعد الأخطر في التاريخ العربي المعاصر، وسينجم عنها حروب وفتن واضطرابات. ومن واجبنا شرح أبعاد هذا المشروع ومخاطرها على فلسطين وأهلها وشعبها وعلى الشعوب العربية أيضاً، والبحث عن أساليب جديدة لتجميع الصفوف وتوحيد القوى الوطنية العربية للوقوف ضد صفقة الإجرام هذه.

الحرب على سورية

منذ أن تحررت غوطة دمشق ودوما منذ ثلاثة أشهر تقريباً، حق للسوريين ومعهم كل الوطنيين العرب وحلفائهم في العالم، أن يحتفلوا بالنصر على العصابات التي روّعت بلادنا واغتالت شبابنا ودمرت منشآتنا.

لم يرق لأمريكا صاحبة المشروع الجهنمي والإجرامي ضد سورية أن يسقط مشروعها فوق الأراضي السورية، فأبت إلا أن تبقي له ذيولاً وبقايا تعشّش في الأوكار، وكان لها أن تأمر أتباعها في جزء صغير من محافظتي درعا وريف القنيطرة، وعطلت بالاتفاق مع إسرائيل المحاولات التي قام بها الجيش العربي السوري والقوات الروسية الحليفة من أجل التوقيع على اتفاق خفض التصعيد، وهي تسعى لإبقاء هذه البؤرة نازفة، ورغم وجود نوع من القبول لدى بعض هذه الجماعات، لكن ما تزال هذه الورقة تستعمل أداة ضغط، لكنها ورقة ضغط مفلسة سلفاً، ولن تقوى على تغيير مجرى الأمور.

أما في منبج، فقد اختارت قيادة (قسد) اللعب على جميع الحبال، وهي تفاوض سورية الآن بعد أن أصابها اليأس من حليفها الأمريكي، وفي الوقت نفسه ما تزال مرتبطة باتفاق تنقاسم بموجبه مع أمريكا إدارة منبج، وكأن هذه المدينة مدينة آبائهم وأجدادهم. وسيعرفون حق المعرفة أن سورية لن تتخلى عن شبر واحد من منبج وعفرين وإدلب والجزيرة تحت طائلة استعمال كل الأساليب الممكنة لاستعادتها.

أما في الأوضاع الداخلية السورية، فالشعب السوري الذي قدّر صعوبة الأوضاع أثناء الحرب، ما يزال ينتظر إجراءات جادة وحقيقية للقضاء على الفساد، ونقترح وضع آلية خاصة لهذا الغرض تُدرس في قيادة الجبهة الوطنية التقدمية وتُقرّ فيها. كما أن الشعب ما يزال ينتظر من الحكومة إجراءات جادة حقيقية لوقف ارتفاع أسعار المواد، بعد أن اقتنع كثيرون أن أسعار المواد المستوردة لا يمكن أن تنخفض إلا إذا سيطرت الدولة على استيراد مواد الاستهلاك الشعبي، الأمر الذي يتيح لها تخفيض أسعارها وفق الأسعار الحقيقية للبلد المصدّر.

* تدارس المكتب السياسي بقلق شديد المعلومات حول استمرار هجرة الشباب وخاصة الفنيين منهم إلى بلدان العالم المختلفة، ورأى فيها ظاهرة سلبية تحرم البلاد من طاقات عشرات الألوف من الكوادر الفنية الذين تربّوا في أحضان البلد، وهو اليوم في أمّس الحاجة إليهم.

ومع تقديرنا للظروف الصعبة التي مرّ بها شبابنا منذ ٨ سنوات، لكن الخلاص من هذه الحرب وعودة الأمان إلى الوطن ولو كان تدريجياً، سيكون كفيلاً بعودتهم، خاصة إذا اتخذت الحكومة العديد من الإجراءات التي يمكن أن تسهّل وتساعد على عودة المهاجرين إلى بلدهم.

* بحث المكتب السياسي بروز بعض الظواهر ذات المنحى الديني المتشدد التي اتخذت أشكال جمعيات وتنظيمات مختلفة، ويرى المكتب السياسي أن المطلوب الآن أكثر من أي وقت مضى المزيد من المحافظة على وحدة النسيج السوري بجميع مكوناته، من خلال نشر الثقافة الوطنية التنويرية والعلمانية، وخاصة في أوساط الشباب الذين يمثلون مستقبل البلد وتطوره.

وبحث الاجتماع عدداً من المسائل الحزبية والتنظيمية المتعلقة بالتحضيرات لاجتماع اللجنة المركزية القادم، والبدء بعقد المؤتمرات الفرعية والمنطقية وفق اللائحة الانتخابية، وعمل المكاتب المركزية والمختصة، واتخذ القرارات المناسبة لكل منها .

إعلان موسكو وبكين المشترك

تتمة المنشور ص ١

العسكرية أحادية الجانب دون قرار من مجلس الأمن، أو موافقة السلطات الشرعية في البلد المستهدف).

وأشارت روسيا والصين إلى ضرورة (منع التدخل في شؤون الدول الأخرى، إن كانت الداخلية أو الخارجية، وحل النزاعات السياسية عبر الطرق الدبلوماسية حصراً).

وأكد البلدان (عزمهما على مواصلة تعزيز الاتصالات الاستراتيجية والتنسيق بين قواتهما العسكرية، وتطوير الآليات الموجودة للتعاون العسكري، وتوسيع العلاقات في مجال التعاون العسكري والتقني العسكري، والتصدي المشترك للتحديات التي يواجهها الأمن العالمي والإقليمي). وأجمع الجانبان في الإعلان المشترك على ضرورة (إيلاء اهتمام خاص لضمان التوازن والاستقرار الاستراتيجيين عالمياً وإقليمياً، ولاسيما في ظل قيام بعض الدول بتطوير منظومات الدفاع الجوي بشكل أحادي، ونشرها في أوربا وآسيا والمحيط الهادئ، بذريعة ما يسمى بالتهديد الصاروخي، نظراً لأن هذا الأمر يضر بالمصالح الأمنية الاستراتيجية للدول الإقليمية بما فيها روسيا والصين).

وتطرقت روسيا والصين في الإعلان المشترك إلى ملف الأزمة السورية، وتعهدتا في هذا السياق بـ(الدعم المشترك لضرورة الحفاظ على وحدة أراضي سورية واحترام سيادتها، وتأييد التسوية السلمية فيها بأيدي السوريين أنفسهم، وبدعم الأمم المتحدة وعبر منصتي جنيف وأستانا، واستناداً إلى نتائج مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي الروسية).

كما اتفق الجانبان على (التنسيق المكثف لضمان إعادة إعمار سورية بصورة فعالة).

وعلى الحلبة الإيرانية، أكدت موسكو وبكين أن (الانسحاب الأحادي لواشنطن من الالتزامات التي تم تسجيلها في اتفاق إيران النووي، يثير قلقهما). وأشارتا إلى أنهما (ستبذلان كل الجهود الممكنة للحفاظ على خطة العمل المشتركة الشاملة، انطلاقاً من الأهمية المبدئية لحماية مصالح تعاون جميع الدول التجاري والاقتصادي مع إيران من العقوبات الأحادية العابرة للحدود).

كما اتفقت الدولتان على (مواصلة تنسيق الجهود الرامية إلى الحل الشامل لقضايا شبه الجزيرة الكورية)، وتعهدتا بـ(التعاون مع الدول الأخرى في المنطقة للإسهام في التسوية في أفغانستان وإع

8

النور

أسست عام ١٩٥٥

www.an-nour.com
e-mail:annourscs@gmail.com

السنة الثامنة عشرة ـ العدد ٨١٨ ـ الأربعاء ١٣ حزيران ٢٠١٨

ANNOUR - Wednesday 13 June 2018 - No. 818

«عينينا... هنّي أساميناً»!

■ بعد انتظار طويل قارب نصف ساعة، جاء السرفيس الذي انتظره، ولو كان الجو لطيفاً أكثر، لما أحسست بطول الانتظار، ولكن شمس حزيران اللاهبة، التي ترافقت مع شهر رمضان، كانت عقاباً حقيقياً لمن تسوّل له نفسه أن ينتظر حافلة نقل. جلست في المقعد المعاكس، خلف السائق، وأمامي تجلس عجوز لا يقل عمرها عن ستين عاماً، وإلى جانبها طفلان جميلان كما أزهار نيسان. الحافلة المسرعة، والمقعد المعاكس جعلني أتأمل الركاب:

رجل عجوز ينظر طول الوقت إلى الطريق.

شاب في الثلاثين في العمر، عيناه ويداه في جهاز الموبايل الذي يرن رنة (رسالة واتس أب) كل دقيقة. العجوز التي أمامي كانت تمسك بالطفلين كل واحد على جهة، وهما في كل لحظة يحاولان الوقوف على أرض السرفيس كي يقفا أمام النافذة، لكنها تمنعهما وتطلب منهما الهدوء. اقتربت الطفلة مني وهي تتأملني بنظرات طفولية، ثم التفتت إلى جدتها وقالت لها بلغة الهمس التي لا يحسنها الأطفال كثيراً: (شو اسمها)؟ قال لها جدتها: (مابعرف، ياتيتي... اسأليها)! ثم التفتت إلي بنظرة أخرى مبتسمة بعذوبة وكأنها تمهد لسؤالها، وماهي إلا دقائق حتى شعرت بإصبعها الصغير على ركبتي، (شو اسمك؟)، فابتسمت لها وقلت (مالي اسم). ظهرت الدهشة على وجه الطفلة وحاولت أن تخبر جدتها أن هناك من لا اسم له. أمضت بعد ذلك دقيقتين وهي تفكر بجوابي، ثم عاد الشعور الجميل بإصبعها الصغير: (كيف ما الك اسم؟ شو بينادوكي؟ وقت سئلك بتناديلك شو بتقلك؟). (يتقلّي: ياتيتي)، سكتت مرة أخرى، ثم ، قالت لي: (أنا اسمي لين). لم أتمالك نفسي من الضحك، مددت يدي إليها وجذبتها لتجلس في حضني، وقلت لها: (وأنا اسمي لين). وكأن الجملة وقعت كالصاعقة على الطفلة الصغيرة، فانتفضت وابتعدت عني قائلة: (هلأ ما كان عندك اسم... ليش سرقتيلي اسمي؟). وغصت ورغرغت عيناها بالدموع وهي تلتجأ لجدتها وتقول لها: (أخدتلي اسمي، شورح تناديني بعدين؟ حتى الماما والبابا شورح ينادوني؟).

لم أكن أعلم أن للاسم هذا التأثير الكبير عليها، ضمّتها جدتها إلى صدرها وقالت لها: (ياروحي .. هيّي متلك اسمها لين... ما سرقتلك الاسم). رفعت الطفلة رأسها وماتزال عيناها تغتسلان بالدموع: (وبس يرجعوا البابا والماما كيف رح يعرفوني؟ بينادوني وهيي بترد عليهن.. بيفكروها بنتهن!). لم أفهم كلمات الصغيرة سوى غيرة طفولية وعقلاً طفولياً لا يدرك كل ما نقوله. أخذت الجدة حفيدتها بين يديها وقالت لها: (لا تخافي! رح يلاقوكي... أصلا هنّ حافظين وجهك ... ولو غيرتِ اسمك مابيخربطوا فيكي)، لم تنبس الطفلة بكلمة بل بقيت في وجه الحزن حتى غابت عيناها في النوم. أما الجدة فقد التفتت إلي لتخبرني بأن والدي الطفلين استشهدا بقذيفة هاون سقطت على منزلهم. الآن فقط فهمت سر خوف الطفلة من سرقة اسمها، أهناك من أقنعها بعودة والديها؟ أم أن براءتها جعلتها تظن ذلك؟ على اهتزاز السرفيس استقيظت الطفلة ولم يمض على نومها سوى دقائق، فتحت عينيها فرأتني أمامها على المقعد، ابتسمت لها وطلبت منها أن تقترب، فاقتربت، أخذتها بين يدي وقلت لها: (بتعرفي فيروز؟) فهزت برأسها نافية وقالت (مين فيروز؟) قلت لها: (جارتنا.. كل يوم الصبح بتغني وبتقول: (الأسامي كلام.. شو خص الكلام ...عينينا هنّي أساميناً). نظرت إلي باستغراب فقلت مرة أخرى (عينينا هنّي أساميناً). ابتسمت الطفلة بكل براءة، أوقفت جدتها السيرفيس ونزلت، التفتت إلي الطفلة ولوحت بيدها قالت (باي يا عينينا!)، وضحكت ملء قلبي... ظننت أن اسمي (عينينا) .... يالبراءة الأطفال!

مادلين جليس

خيالات غرباء

صديقي أو ربما طفلي
أضعته يوماً.. أو ربما يومين
حين بحثت عن يديه لأقبّلهما
وجدتهما حول عنقي
فبكيت!
طفلي
أو ربما غريب
كان يركض مسرعاً نحو الهاوية
وكنت أصرخ خلفه كمجنونة
أركض مسرعاً صوب الريح
الريح خلف الهاوية
الهاوية تطيح.. تضيع.. وتتبدّد
أصرخ خلفه كالمجنونة..
فيتبدّد
يذوب.. ويسقط مختفياً!
غريب
أو ربما عدوّ
يبتسم لي
يخبرني أني أجيد الرقص، وأنه يعرفني جيداً
ويحب لون الخريف في عينيّ
وكنت أعلم أنه يكذب
وأن كلينا لا نحب المرايا
ولا العيون الملأى بالصدى
عدو أو ربما شريك قوقعة
صوته صاخب
يصبح بالشتائم عالياً
يفسد كل ما حوله كالسمّ
حطم الأواني والنوافذ وحبال الغسيل
لم يكتف.. فكسر يده اليسرى
ليشبهني.. وليقنعنا، أنا وأنتم، بأني نسخته
جرح من برق ونار
شريك قوقعة أو ربما صديق
يضيع بعيداً.. دونما أثر
لم نستطع أن نتجاوز الوهم
لم نقدر أن نتقن الصمت.. لنغني
هشمنا القوقعة (التي اعتدنا أن نتباهى بها)
فتُّهنا
يجرفنا شلال من الصفعات والصرخات والخوف
صديقي، أو ربما طفلي
أضعته يوماً.. أو ربما يومين
كنت أسمع بكاءه الخائف كلّ ليلة
يناديني..
الصوت في جمجمتي
يشتكي الصقيع والظلام
في النهاية.. كاد يخنقني
وحين بحثت عن يديه لأقبّلهما
وجدتهما حول عنقي
فبكيت!
الطفل الصغير..
مات مختنقاً.. برماد!

ميرامار الصالحاني

ر.م	المنتخبان	المجموعة/الدور	التاريخ والتوقيت	المدينة	النتيجة
1	روسيا × السعودية	A	14 حزيران (18:00)	موسكو - لوجنيكي	/
2	مصر × أوروغواي	A	15 حزيران (15:00)	يكاترينبورغ	/
3	البرتغال × إسبانيا	B	15 حزيران (21:00)	سوتشي	/
4	إيران × المغرب	B	15 حزيران (18:00)	سان بطرسبورغ	/
5	فرنسا × أستراليا	C	16 حزيران (13:00)	قازان	/
6	بيرو × الدنمارك	C	16 حزيران (19:00)	سارانسك	/
7	الأرجنتين × أيسلندا	D	16 حزيران (16:00)	موسكو - سبارتاك	/
8	كرواتيا × نيجيريا	D	16 حزيران (22:00)	كالينينغراد	/
9	البرازيل × سويسرا	E	17 حزيران (21:00)	روستوف على الدون	/
10	كوستاريكا × صربيا	E	17 حزيران (15:00)	سمارا	/
11	ألمانيا × المكسيك	F	17 حزيران (18:00)	موسكو - لوجنيكي	/
12	السويد × كوريا ج	F	18 حزيران (15:00)	نيجني نوفغورود	/
13	بلجيكا × بنما	G	18 حزيران (18:00)	سوتشي	/
14	تونس × إنجلترا	G	18 حزيران (21:00)	كالينينغراد	/
15	بولندا × السنغال	H	19 حزيران (18:00)	موسكو - سبارتاك	/
16	كولومبيا × اليابان	H	19 حزيران (15:00)	سارانسك	/
17	روسيا × مصر	A	19 حزيران (21:00)	سان بطرسبورغ	/
18	أوروغواي × السعودية	A	20 حزيران (18:00)	روستوف على الدون	/
19	البرتغال × المغرب	B	20 حزيران (15:00)	موسكو - لوجنيكي	/
20	إسبانيا × إيران	B	20 حزيران (21:00)	قازان	/
21	فرنسا × بيرو	C	21 حزيران (18:00)	يكاترينبورغ	/
22	الدنمارك × أستراليا	C	21 حزيران (15:00)	سمارا	/
23	الأرجنتين × كرواتيا	D	21 حزيران (21:00)	نيجني نوفغورود	/
24	نيجيريا × أيسلندا	D	22 حزيران (18:00)	كالينينغراد	/
25	البرازيل × كوستاريكا	F	22 حزيران (15:00)	سان بطرسبورغ	/
26	صربيا × سويسرا	F	22 حزيران (21:00)	كالينينغراد	/
27	ألمانيا × السويد	F	23 حزيران (21:00)	سوتشي	/
28	المكسيك × كوريا ج	F	23 حزيران (18:00)	روستوف على الدون	/
29	بلجيكا × تونس	G	23 حزيران (15:00)	موسكو - سبارتاك	/
30	إنجلترا × بنما	G	24 حزيران (15:00)	نيجني نوفغورود	/
31	بولندا × كولومبيا	H	24 حزيران (21:00)	قازان	/
32	اليابان × السنغال	H	24 حزيران (18:00)	يكاترينبورغ	/
33	روسيا × أوروغواي	A	25 حزيران (17:00)	سمارا	/
34	مصر × السعودية	A	25 حزيران (17:00)	كالينينغراد	/
35	إيران × البرتغال	B	25 حزيران (21:00)	سارانسك	/
36	إسبانيا × المغرب	B	25 حزيران (21:00)	كالينينغراد	/
37	فرنسا × الدنمارك	C	26 حزيران (17:00)	موسكو - لوجنيكي	/
38	أستراليا × بيرو	C	26 حزيران (17:00)	سوتشي	/
39	الأرجنتين × نيجيريا	D	26 حزيران (21:00)	سان بطرسبورغ	/
40	كرواتيا × أيسلندا	D	26 حزيران (21:00)	روستوف على الدون	/
41	البرازيل × صربيا	E	27 حزيران (21:00)	موسكو - سبارتاك	/
42	سويسرا × كوستاريكا	E	27 حزيران (21:00)	نيجني نوفغورود	/
43	ألمانيا × كوريا ج	F	27 حزيران (17:00)	قازان	/
44	المكسيك × السويد	F	27 حزيران (17:00)	يكاترينبورغ	/
45	بلجيكا × إنجلترا	G	28 حزيران (21:00)	كالينينغراد	/
46	تونس × بنما	G	28 حزيران (21:00)	سارانسك	/
47	بولندا × اليابان	H	28 حزيران (17:00)	فولغوغراد	/
48	كولومبيا × السنغال	H	28 حزيران (17:00)	سمارا	/
49	الدور الثاني	أول المجموعة 1 × ثاني المجموعة 2	30 حزيران (21:00)	سوتشي	/
50		أول المجموعة A × ثاني المجموعة B	30 حزيران (17:00)	قازان	/
51		أول المجموعة C × ثاني المجموعة D	1 تموز (17:00)	موسكو - لوجنيكي	/
52		أول المجموعة E × ثاني المجموعة F	1 تموز (21:00)	نيجني نوفغورود	/
53		أول المجموعة G × ثاني المجموعة H	2 تموز (17:00)	سمارا	/
54		أول المجموعة B × ثاني المجموعة A	2 تموز (21:00)	روستوف على الدون	/
55		أول المجموعة D × ثاني المجموعة C	3 تموز (17:00)	سان بطرسبورغ	/
56		أول المجموعة F × ثاني المجموعة E	3 تموز (21:00)	موسكو - سبارتاك	/
57	ربع النهائي	الفائز من 49 × الفائز من 50	6 تموز (17:00)	نيجني نوفغورود	/
58		الفائز من 53 × الفائز من 54	6 تموز (21:00)	قازان	/
59		الفائز من 51 × الفائز من 52	7 تموز (21:00)	سوتشي	/
60		الفائز من 55 × الفائز من 56	7 تموز (17:00)	سمارا	/
61	نصف النهائي	الفائز من 57 × الفائز من 58	10 تموز (21:00)	سان بطرسبورغ	/
62		الفائز من 59 × الفائز من 60	11 تموز (21:00)	موسكو - لوجنيكي	/
63	المركز الثالث	الخاسر من 61 × الخاسر من 62	14 تموز (17:00)	سان بطرسبورغ	/
64	النهائي	الفائز من 61 × الفائز من 62	15 تموز (18:00)	موسكو - لوجنيكي	/

من القلب إلى القلب

عماد نداف

عشنا الحرب بالسيف والترس وبالتوماهوك!

■ أقول لكم صراحة: فرجة الحرب ليست فرجة!

أي أن الإدهاش فيها مؤلم، مخيف، يحطم القلب، ويدمي الأعصاب. بل ولا يحقق متعة الفرجة التي أقصدها في سياق المعنى الذي أريده، وخاصة عندما تتضمن مشاهد الحرب المتتالية تفاصيل عن الموت والدمار، وتتلوث الصور بلون الدم وترددات الصراخ والعويل وأنين الحزن المكتوم!

ولكي تتعرف على الحرب لا يكفي أن تشاهد فيلماً حربياً، حتى لو كان هذا الفيلم مشغولاً بأحدث أساليب هوليوود، بحيث تُعرضُ صور أشبه بالواقع عن الحرب، لا يكفي أن تشاهد فيلماً عن الحرب، لأن مشاهدة الحرب ببساطة هي لحظة يعيشها الإنسان داخل التفاصيل وخارج العقل، وهذا لا يحصل إلا مع من يعيش فيها!

كانت الحروب فيما مضى بالسيف والرمح، وأن تتفرج على حرب بالسيوف والرماح يعني أنك ستقف على التفاصيل الصغيرة من لحظة خروج السيف من غمده حتى وصوله إلى عنق الطرف الآخر، قبل أن يجزّه فيفصل الرأس عن الجسد بضربة واحدة، فيسقط القتيل وينتقل القاتل /الفارس إلى خصم آخر ليقتله.

مع تطور آلة الحرب، غدت الصورة مليئة بالتفاصيل، ومكثفة إلى درجة أنها أصبحت قادرة على إعطائك تفاصيل دقيقة جداً عن الحدث المأساوي الذي يحصل، ومع ذلك، فإن كل هذه التفاصيل لا يمكن فهم معناها إلا عندما تكون أنت داخلها، أو تكون قريباً منها، وهنا يتحدد معنى الفرجة الحقيقي، وهي فرجة غير مبهجة أبداً.. أبداً!! ÀÅ

نحن في سورية.. عشناها.

لم يكن هناك حاجة لتتبّع محطات (الأكشن)، العربية أو غير العربية، للوقوف عند تفاصيل الحروب وقصصها ورسائلها ومعناها في تاريخ الإنسان.. كنا داخل الحرب، فعرفنا أشكالاً نادرة من وقائع الحروب التي يتحدث عنها التاريخ منذ العصر الحجري إلى اليوم، أي منذ الحرب بالسكين والسيف والترس وصولاً إلى الحرب بالصواريخ العابرة للقارات!

نحن في سورية عشنا التاريخ كاملاً، من الذبح بالسكين إلى الصواريخ العابرة للقارات، والغريب أن إنسانيتنا كانت تُجرح عند متابعة مشهد الذبح من العنق أو قطع اليد بالسيف، أكثر منها عندما يشخر فوقنا الصاروخ أو يقع على مقربة منا، فتهتز الأرض ونشعر أن خلايانا تفتّتت وتثاقل جسدنا كالصرعى تماماً!

ماذا يريد منا مشعلو الحروب أكثر من هذه الخبرة، وأكثر من هذه الفرجة من داخلها؟! هل يريدون تدميرنا؟!

نعم.. شهدنا تدميراً واسعاً يضاهي في قساوته دمار الحرب العالمية الثانية.

هل يريدون إخافتنا؟!

نعم، كانوا يريدون إخافتنا، بكى أطفالنا عندما تعرفوا إلى وحش الحرب، لكنهم لم يخافوا. عضت نساؤنا على أطراف أثوابهن وهن يتعرفن إلى همجية الحرب، ولكنهن لم يخفن من الحرب.

ببساطة، لم يخف أحد من الحرب، حتى أولئك الذين هاجروا، لأن أمواج البحار كانت تشبه وطأة الحرب وربما أقسى، وربما كانت جزءاً من الفرجة، ومع ذلك لم يخافوا.

أتعرفون من خاف؟!

فقط.. خاف حفارو القبور من أن يعجزوا عن حفر ما يكفي من القبور لدفن الجثث التي رمتها الحرب حولنا وحوالينا وداخل بيوتنا وثكناتنا وفي حقولنا ومصانعنا المنهوبة، إلى درجة تفوق التصور!

هناك هدف واحد للحرب أصبح مفضوحاً: هو أن ننتهي!

والسوري لا ينتهي... هم لا يصدّقون ذلك.. ألا تشاهدون صور الحرب وتغريبة السوريين وتشريقتهم؟! لقد بلغ فيها عدد الأطفال الذين بعمر الحرب ما يوازي عدد السكان!

imadnaddaf@hotmail.com

(نُشرت هذه الزاوية في موقع بوابة الشرق الأوسط الجديدة)

اكتشاف جديد حول الطاعون

■ أظهر هيكلان عظميان مدفونان في قبر مشترك عمره ٣٨٠٠ عام، علامات الطاعون الدبلي الذي انتشر في جميع أنحاء أوربا في القرن الرابع عشر، وتسبب بقتل ٢٠٠ مليون شخص.

وعلى الرغم من أهميته في تشكيل التاريخ البشري، إلا أن أصل الطاعون ما يزال محاطاً بالغموض. ولكن الاكتشاف الجديد دفع تاريخ ظهوره إلى ما لا يقل عن ألف عام.

وكشف فحص البقايا المكتشفة في منطقة سامارا في روسيا، أن الهيكلان مصابان بالنوع نفسه من البكتيريا التي اجتاحت أوربا في العصور الوسطى. وكان لدى الميكروب المعني، كل علامات المرض التي كانت قادرة على الانتشار السريع والوصول إلى أبعاد وبائية.

وقالت الدكتورة كيرستن بوس، من معهد ماكس بلانك لعلوم التاريخ البشري: (يبدو أن كلا الهيكلين لديهما السلالة نفسها، وهي تحتوي على جميع المكونات الجينية التي نعرفها فيما يخص الشكل الدبلي للمرض. لذا فإن الطاعون انتشر لفترة أطول بكثير مما كنا نظن).

وعلى الرغم من أن عينات العصر البرونزي تم اكتشافها سابقاً مع وجود دليل على الإصابة بميكروبات مماثلة، إلا أن تلك الميكروبات لم يكن لديها الإمكانية الوبائية للميكروبات الموجودة في العينات الروسية.

وتقول الدكتورة ماريا سبيرو، التي كانت أول معدي الدراسة، إن هذا الميكروب منذ حوالي ٤ آلاف عام كانت تمتلك كل الخصائص الجينية المطلوبة لنقل الطاعون إلى القوارض والبشر والثدييات الأخرى).

وقال الباحثون الذين شاركوا في الدراسة التي نُشرت في مجلة علمية، إن النتائج التي توصلوا إليها دليل على وجود سلالة طفيلية، نشأت خلال العصر البرونزي وتستمر حتى يومنا هذا. ويجب أن تساعد دراسة الجينات القديمة على فهم كيفية اكتساب الطاعون لخصائصه القاتلة.

وتجدر الإشارة إلى أن الطاعون الدبلي القاتل أثر على أوربا، إضافة إلى الإمبراطورية الرومانية الشرقية في عام ٥٤١ م، والأوبئة التي اجتاحت الصين أواخر القرن التاسع عشر، بسبب قدرته على التعامل مع البراغيث.

ونقلت هذه البراغيث المرض إلى الجرذان، وبالتالي كانت قادرة على الانتشار بسرعة عبر منطقة معينة وإصابة البشر من خلال عضها.

يذكر أنه تم العثور على الطاعون في العديد من مناطق العالم، على الرغم من أن المضادات الحيوية خفضت بشكل كبير من معدل الوفيات.

وعلى الرغم من عدم حدوث حالات الإصابة بمرض الموت الأسود في العصر الحديث، إلا أن تفشي المرض مؤخراً في مدغشقر أظهر أنه ما يزال قادراً على إلحاق أضرار بالغة. ولقي هناك ما يقرب من ٢٠٠ شخص حتفهم في غضون ٣ أشهر.

تقنية حديثة لتنقية الهواء

■ أعلنت شركة (كربون إينجينيرينغ) عن تمكّنها من تطوير تكنولوجيا غير مكلفة وقادرة على انتزاع كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون، وأعلنت الشركة في تقرير جديد عن إمكانيتها امتصاص طن كامل من هذا الغاز مقابل تكلفة لا تتجاوز ١٠٠ دولار أمريكي.

وتتميز هذه التقنية بانخفاض تكلفتها في تنقية الهواء، بالمقارنة مع التكنولوجيا المستخدمة حالياً والتي تتجاوز ٦٠٠ دولار للطن الواحد.

ويعود الاختراع بالأصل إلى العالم كلوس لاكنر، الذي أوجد الفكرة العلمية ذاتها في تسعينيات القرن الماضي، ولكن تطبيقها العملي كان محدوداً على بعض الشركات وحسب.

كما يشكّك علماء بفاعلية التكنولوجيا السابقة في وقف ظاهرة الاحتباس الحراري، وذلك لأن مسبباته لا تقتصر على نسبة عالية لغاز ثاني أكسيد الكربون فحسب.

لكن ودون شك، يساعد تطبيق التكنولوجيا على نطاق دولي واسع في تخفيف التلوث البيئي، ما يبطئ الاحتباس الحراري للكرة الأرضية.

أدوية الكوليسترول خطر آخر

■ أكد علماء من مختبرات (جينوتيك) في موسكو، أن بعض الأدوية التي تحارب تراكم الكوليسترول في الجسم تشكل خطراً على حياة الإنسان.

وقال العلماء إن (أمراض القلب وتصلب الشرايين تعتبر من أخطر الأمراض التي تفتك بحياة ملايين الناس في العالم، وأهم أسباب هذه الأمراض هو تراكم الكوليسترول والشحوم في الجسم. لذا، لا بد للبعض من استعمال الأدوية الكيميائية المخصصة لتخفيض نسب الكوليسترول، لكن بعض هذه الأدوية قد تقتل الإنسان على المدى الطويل).

وأوضح العلماء أن أخطر أدوية الكوليسترول على الصحة هي (الستاتينات) أو مركبات (الستاتين)، وخصوصاً عند الأشخاص الذين لديهم طفرات وراثية معينة في بروتين (سيلكو ١ بي ١)، فتلك الأدوية تزيد عندهم احتمال ضمور العضلات بنسبة أكبر بـ ١٥ أو ١٦ مرة أكثر من الناس العاديين، وبالتالي تؤثر بشكل مباشر على عضلة القلب وتسبب الوفاة المبكرة.